

مجلد لعل العربى

(دهشق) شباط سنة ١٩٢٦ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٤ هـ ٦٢

تصحیح نهیة الارب

« اغلاط الجزء الثانی »

في ص ٦ س ٦ (فقیل اُنَيس) ضبطه مصغراً من دون تشدید وصوابه اُنَيس بالتشديد لان الكلام انما هو في (أناس) لا (أنس) . وما كان ثالثه حرف علة شُدَّت فيه باء التصغير فيقال في غراب تُصَرِّب وفي زبيب زُبَيْب وهكذا .

وفي ص ٧ س ٩ — قوله (وفي تصغير ليلة ليلية) نعم هذا هو تصغيرها القياسي وليس الكلام فيه وانما الكلام في التصغير غير القياسي فالصواب ان يقال (وفي تصغير ليلة ليلية) اي بزيادة ياء بعد اللام الثانية كذا ورد تصغيرها . ومن ثم قال بعضهم ان أصل (ليلة) (ليسلة) ولذلك صغرت على (ليلية) لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها .

وفي ص ١٢ س ٩ — قوله (فصل في ظهور الشيب وعمومه) : من تصفح هذا الفصل المركب من اربع صفحات ظهر له ان مضامينه ملفقة تلفيقاً : فانه افتتح بذكر الشيب . وبعد أسطر قطع الكلام في الشيب وقال : (وقيل ما السرور) ؟ فكتب سطراً واحداً ثم قال : (واما النفس الغضبية) فكتب سطراً واحداً عنها ثم قال : (وقيل لحصين ابن المنذر ما السرور الخ) . ثم بعده (وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ) . ثم رجع وقال : (واما النفس البهيمية) وبعد ما كتب عنها نحو نصف صفحة قال (وقيل لامرئ القيس ما السرور) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان

وهكذا الى آخر الفصل . وظاهر ان تقسيم النفس الى غضبية وبهيمية لاعلاقة له بالشيب وكذلك اختلاف الناس فيها هو السرور . مع ان المؤلف عاد فعقد للشيب في ص ٢١ فصلاً خاصاً أسهب فيه القول ايّما إسهاب . وبأيت المصحح الفاضل نبّه الى ما ذكرنا من حدوث خلل في هذا الفصل .

وفي ص ١٨ س ١١ — قوله سيف في صفة الشعر المسترسل (حتى نأهى الى مواطنه) كذا بالنون وصوابه (مواطنه) بالهمزة اي مواطن اقدام المحبوب بدليل قوله في الشطر الثاني بعده (يلثم من كل موطن عفره) .

وفي صفحة ٢٥ سطر ١٦ — قوله في صفة الشيب :

(هو الزور يُجنى والمعاشر يُجتوى وذو الألف يُقلى والجديد يُرَقَّع)
(الزور) ضُبُطت بضم الزاي خطأ وصوابه (الزور) بفتحها وهو الزائر فالشاعر يشجب من كون الناس يعاملون الشيب بالخفاء وانما هو زائر ومن حق الزائر ان يُكرم .
وفي صفحة ٥٢ سطر ١٤ — ذكر المصنف من امراض العين (السجى) وقال هو « ان يعسر على الانسان فتح عينيه اذا انتبه من النوم » فقال المصحح « لعل الصواب (الجسأة) بتقديم الجيم على السين كما في فقه اللغة » لكن الذي في كتاب اللغة انه يقال (امرأة ساجية الطرف) اذا كانت ساكنته وفي الأساس فارتته ومثله سجيء الطرف . وسجيا الليل سكن ودام . ومنه قوله تعالى : (والليل اذا سجا) اي سكن أهله وركد ظلامه .
اما (الجسأة) بتقديم الجيم فالصلابة والبس . فأنت ترى ان مادة (السجو) أقرب الى المعنى الذي أراده المصنف في مرض العين . وقد راجعت فقه اللغة في فصل محاسن العين ومعايبها فلم أجده ذكر الجسأة ولا السجى .

وفي صفحة ٦٤ سطر ١٣ — قوله (تدأب ريح المسك فيه) اي في الربع الذي غيّرته البلى . و (تدأب) كذا بالبدال المعجمة من باب التفاعل . وصوابه (تدأب) بالبدال المعجمة من التفعّل يقال (تدأبت الريح) اذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب . فالتدؤب مأخوذ من مادة (الذئب) وانما ذكر الفعل مع ان الريح مؤنثة لان تأنيثها مجازي . ومثله يجوز تدكير فعله وتأنيثه .

وفي صفحة ٧٠ سطر ١٢ — قال ذو الرمة :

(حدیث کوقع القطر فی المحل یشنفی به من جوی فی داخل القلب لاطف)
 لم أجد فی کتب اللغة (داء أوجوی لاطف) وانما وجدت الأساس یقول (داء
 ملاطف) ای مداخل و تبعه التاج فی استدراک علی صاحب القاموس . فهل قول
 ذی الرمة (داء لاطف) صحیح وتكون عبارة الأساس محرفة ؟ او ان الصواب (داء
 ملاطف) كما قال صاحب الأساس ویكون بیت ذی الرمة محرفاً ویكون اصله
 مثلاً هكذا :

(حدیث کوقع القطر فی المحل یشنفی به من جوی ذاکي الضرام ملاطف)
 وفي صفحة ۸۷ سطر ۱۶ — قوله (لقینا دونها منع سد۰۰۰ واقدح رده)
 اقدح بالقاف خطأ وصوابه (أفدح) بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان
 ثقیلاً لا یجتمل (کذا فلیجل الخطب ولیفدح الامر) .
 وفي صفحة ۸۸ سطر ۱۴ — قوله (وفیل سيفک . وحط رحک) حط ای
 وضع . ووضع الرمح لبس عما یلثم مع فل السیف . فاعل صوابه و (حطم رحک)
 اذ یقال (صعدة حطم) اذا تحطمت بجمع أجرائها .
 وفي صفحة ۱۳۶ سطر ۱۸ — قوله (ففی من أحسن الناس وجهاً . وأثرهم ثوباً)
 کذا (أثرهم) بالثاء المثناة وصوابه (اسراهم) بالسين المهملة ای اجودهم ثوباً . والسري
 الجید من کل شیء . ویقال جاء المسافر فی ثقل سري . ای متاع حسن . ومنه ماجاء
 فی هذا الكتاب . صفحة ۱۷۳ سطر ۳ — (واشتری داراً سرية واسعة الصحن)
 فقوله سرية ای جيدة حسنة . اما (أثری) فعلى فرض صحة ان تكون افعل تفضیل
 من الثروة فانما بوصف بها الناس لا الثياب .

وفي صفحة ۱۴۹ سطر ۱۳ — قوله (فأنشد ربان قول أبي) ضبطه بضم الهمزة
 وياء مشددة مصغراً فأوهم ان (ای) اسم الرجل الذي قال الشعر . والصواب (قول
 أبي) ای اب مضاف الى باء المتکلم فان فی سياق القصة ما يشعر بهذا مذ قال له رفيقه
 (یا ابن الکرام دم أبیک فی اثوابها الخ) .

وفي صفحة ۱۷۹ سطر ۱۹ — قوله (والموت خیر من فراق خلّتی) ضبطه بكسر

الخاء والصواب بضمها بمعنى الخليفة وبمعنى الصديق بلفظ واحد مع الجميع نقول (هو وهي
وهن خاتني) اما الخليفة بالكسر فلها معان لا تناسب هنا .

وفي صفحة ١٨٠ سطر ٦ — قوله (شيخ يحامي دون بيض الخدر) ضبط (بيض)
بكسر الباء جمع بيضاء فيبيض الخدر من النساء ولعل الصواب ان تضبط بفتح الباء جمع
بيضة وكلمة (بيضة) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية
المكنونة في خدرها فيقولون (بيضة خدر) وقلما يقولون (بيضاء خدر) .

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٥ — قوله (هذه دجلة قد جاءت بمدة عظيم يرغب مثله)
صوابه (يرهب مثله) لانه انما يحذره من التادي في نزعتها على دجلة وهي على هذه
الحال من طغيان المد . واعتلاج الأمواج . على ان فعل (رغب) انما يتعدى بفي
فيقال يرغب في مثله .

وفي صفحة ٢١٢ سطر ١٩ — قوله (ومذلل اما القضيبي ففسده) صوابه
(ومذل) بالدال المهمل من التدليل وهو الترفيع . فالمذل المرفعة الذي ينقلب فيه
النعمة وبلهنية العيش . ولا معنى للمذل هنا .
وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٠ — قوله :

(يا قمرأ اقبل بي على دعص من الاغصان مهزوز)

(الدعص) كثيب الرمل المجتمع وتشبه به الأرداف عادة . فعلي هذا لا يصح
ان يكون قوله من الأغصان بياناً له : فصوابه (على غصن من الأغصان مهزوز)
او (على دعص من الاردا ف مهزوز) ويوصف الردف بالاهتزاز والارتجاج كما في
قول الشاعر صفحة ٢٢١ سطر ١٧

(مرتجة في نهاده أسافله مهتزة في لثنيه أعاليه)

وفي صفحة ٢١٩ سطر ٨ — قوله (وواضح النبت يحكي مزاجه الزنجبيل)
صوابه وواضح الثغر . اما النبت فلا معنى له هنا . او لعل النبت محرف عن (الثناب)
جمع شنب . وسكنت نونه لضرورة الشعر . والثغر الشنب ما كان في اسنانه رقة
وعذوبة وبرد . ولا يخلو من تكلف . فالأولى ان يكون صوابه (وواضح الثغر)
كما قلنا .

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٢ — قوله في قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها
(من ركَّب البدر في صدر الرديني) الى ان قال (والساحر الساحر الغرَّار بينهم)
كذا بجائين مهملتين وصوابه (والساحر الساخر) الأولى بالمهمل من السحر والثانية
بالمعجمة من السخرية اي انه يسخر من عاشقيه فيعدهم ولا يفي .

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٤ — قواه (غيد لسفك دم الحـب ب نظافت منها الظفائر)
كذا بالظاء في المكتتين وصوابه بالضاد فيهما والضميرة اخلصة من الشعر جمعها ضفائر .
ومعنى تضافرت تعاونت : الا ان يُدعى بان فعل (تضافر) مما جاء بالظاء ايضاً كما قاله
ابن مالك . ولكن هل تصح هذه الدعوى في الضميرة ايضاً ؟ .

وفي صفحة ٢٣٢ سطر ٢ — قوله
(كواعباً من الدُمى لواعبا مشبهة الثغور لا القلائد)
صوابه (مشبهة الثغور بالقلائد) اي ان اسنان ثغورهن تشبه في حسن الانتساق
والانتظام قلائدهن التي في اعناقهن . ولا معنى لقوله (مشبهة الثغور لا القلائد) .
وفي صفحة ٢٣٥ سطر ٦ — قوله (واحذر ضرماً بالعيوت الخ) صوابه
(واحذر مداماً بالعيون) اي سكرآ وخمرآ كما اعتاد الشعراء وصف العيوت به
وبامثاله كالدبول والثغور والنعاس . وليس من عادتهم ان يصفوها بالنار ولا بالضرام
الذي معناه الاشتعال .

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٦ — قوله
(فتعجبت من سُراها فقالت غير مستطرف سُرى الاقمار)
غير مستطرف بمعنى غير مستظرف وغير مستحسن . ولا معنى له هنا وانما المناسب ان
يقال (غير مستغرب سُرى الاقمار) فمستظرف محرفة عن (مستغرب) .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ٨ — قوله
(لم اطو بجر نذاك — مع قربي — قلى الا مخافة موجه المتراكب)
لا معنى لقوله (لم اطو بجر نذاك) فصوابه لم (أجو) من جوى الشيء اذا
كرهه ومثله اجتوى البلد كره المقام به وان تبسرت له فيه اسباب الشمة . وهذا عين

ما أراد الشاعر في قوله (لم أجو بحر نداءك الخ) أي انني لم أكره نداءك والإقامة سيفي ظل جدواك بغضاً ونفرةً منه وإنما أنا كرهته مخافة أن اغرق في موجه الطامي .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١١ — قوله

(ثلاثة منعتها عن زيارتنا وقد طوى الليل جفن الكاشح الخنق)
الظاهر من قوله (طوى الليل جفن الكاشح) أن الكاشح يعني الرقيب كان نائماً لكن لامعنى لقوله بعدُ معدداً الثلاثة المانعة للزيارة .

(نور الجبين ووسواس الخلق وما يسُّرُ اردانها من عنبر غبق)
فإن هذه الاشياء لا تعود مانعة للزيارة ما دام الرقيب نائماً . أما اذا كان يقظان فإن النور والصوت والطيب تنبهه وتجعله يشعر بالزيارة . فصواب الشطر هكذا (وقد دجى الليل خوف الكاشح الخنق) و (خوف) منصوب لكونه مفعولاً لأجله . والمعنى حينئذ : إنما انما امتنعت عن الزيارة في هذه الحالات الثلاث خشية إنباه الكاشح ونقطته للامر .

وفي صفحة ٢٦٦ سطر ١ — قوله

(قالت فإن الليث عال به قلت فسيبي مرهف بانثر)
(عال به) أي بالقصر وتعني بالليث حمايتها من أبيها وأختها . وعلى هذا فلامعنى الكلمة (عال) نال صواب (عاد) من عاد عليه الأسد وثبت عليه وأقترسه . ومن أسماء الأسد العادي .
وفي صفحة ٢٧١ سطر ٣ هنا بيت ساقط من القصيدة أشير إليه بصف من النقط
وقد قال المصحح أن البيت ساقط من الاصل ولم يعثر عليه وقبله .
(تلك الحاظُ اعين أم أسد غيل وثبت)

وقد خطر لي أن البيت الساقط هو بهذا المعنى :

(صحّ هواك في فؤاد عاشقك وثبت)

ودلني عليه قوله قبله في صفحة ٢٧٠ سطر ٨

(يا من احفظانه أسود وثبت قد صحّ هواك في فؤادي وثبت)

المعرب

اخبار الحقى والمغفلين

افضنا في الجزء الماضي في وصف كتاب العلامة الكبير ابي الفرج بن الجوزي في اخبار الحقى والمغفلين ونقلنا شذرات من اوله نقف بالقساريء على روح العصور التي سلفت حتى عهد المؤلف وتمثل أسلوبهم في الكلام وما نحن اولاء ننقل نبذة أخرى منه تجمع بين الأدب والفكاهة والحكمة .

ذكر المؤلف في الباب التاسع من كتابه اخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم افعال الحقى واصروا عليها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين ، قال من جملة : وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل الا انهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل ، فمن ذلك ما حكى عن بعض المغفلين قال : حضرت عند امير لاغية فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لا حركه به ليفعل مثله ثم غنيت : قوا صدكافور توارك غيره ومن قصد البحر اسنقل السواقيا

فقال لي : فبحك الله ما هذه المعاشرة فاستيقظت وحلفت اني ما قصدته .

ومثل هذا جرى لعبد الله وحسن بن حسين فانه كان يساير السفاح وينظر الى مدينته التي بناها ظاهري مدينه الانبار فاشتد :

الم تر مالكا اصحى ببني
يهوتا نفعها لبني بقبيله
أيرجى ان يعمر عمر نوح
وامر الله بأني كل ليله

فغضب فاعتذر اليه .

وبينا عيسى بن موسى يساير ابامسلم يوم ادخله على المنصور تمثل عيسى فقال : سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حل في اكباد عاد وجُرهم فقال ابو مسلم : هذا مع الامان الذي أعطيت ، فقال عيسى : اعطيت ما أمرك ان كان هذا شيئاً أضمرته .

ولما حوضر الامين قال لجاريته : غني فغنت :

كليب لعمري كان اكثر ناصراً
وايسر حزمًا منك خرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال : غني فغنت غيره :

تسكت فراقهم عيني فأرتقا ان النفرق للاحباب بكاء
فقال : لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت :
ما اخلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل السلطان من ملك غاب تحت الثرى الى ملك

فقال : قومي فقامت فعثرت بقدرح بلور فكسرتة فاذا قائل يقول : قضي الامر
الذي فيه تسفتيان . فلما دخل المأمون على زبدة ليعزيها في الامين قالت : تسليني
في غدائك اليوم عندي فتغدي . واخرجت اليه من جوارى الامين من تغنيه فغنت :
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرار به
فوثب مغضباً . فقالت له : يا امير المؤمنين حرمني الله اجره ان كنت علمت
اودست اليها . فصدقها .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه اسحق بن ابراهيم
ان ينشده فأنشده شعراً في صفته وصفة المجلس الا ان اوله :
يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري مالذي ابلاك
فتطير المعتصم وعجب الناس كيف فعل هذا اسحق مع فهمه فقاموا وخرب
القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان .

وانشد صاحب بن عباد عضد الدولة مديحة له فيه :
ضممت على ابناء تغلب تاءها فتغلب ما كر الجديدان تغلب
فتطير عضد الدولة من قوله تغلب وقال : نعوذ بالله فنيقظ صاحب من قوله وتغير لونه .
وقال اسحق المهلبى : دخلت على الواثق فقال : غني صوتاً عربياً فقلت :
(يا دار ان كان البلا محاك) قال : فتبذبت الكراهية في وجهه وندمت .
ودخل ابو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك فأنشده اباناً حتى بلغ فيها ذكر الشمس
فقال : « وهي على الافق كعين الاحول » فأمر ان يوجأ في عنقه وأخرج .
ودخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله
في طول عمره فأنشده

رَأَيْتُ المرءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي كَأَنَّ كُلَّ الْأَرْضِ سَاقِطَةٌ الْحَدِيدِ
وَمَا تَبْنِي الْمُنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتُكْرَرُ حَتَّى تُوْفَى نَذْرُهَا بِإِي الْوَلِيدِ
فَارْتَنَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَظَنَّ أَنَّهُ عَسَاءٌ وَعَلِمَ ارْطَاةَ أَنَّهُ زَلَّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنِّي أَكُنِّي بِإِي الْوَلِيدِ وَصَدَّقَهُ الْحَاضِرُونَ .

وَدَخَلَ ذُو الرِّمَةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَنشَدَهُ :
مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبَ
وَالْفَقُّ إِنْ عَيْنِي عَبْدُ الْمَلِكِ كَانَا بِسِيلَاتِ فُظُنِّ أَنَّهُ عَرَّضَ بِهِ فُغْضَبُ وَقُطِعَ
أَنشَادُهُ وَأُخْرِجَ . وَدَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَأَنشَدَهُ :

شَبَّ بِاللَّيْلِ مِنْ عَزِيزَةِ نَارٍ أَوْقَدَتْهَا وَابْنُ مِنْكَ الْقَرَارِ
وَكَانَ اسْمُ وَالِدَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَزِيزَةً فَتَغَامُرُ الْحَاضِرُونَ وَأَعْلَمُوهُ بِهَفْوَتِهِ فَأَمْسَكَ .
وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَزْدِيِّ فَأَنشَدَهُ :
يَا ابْنَةَ الْأَزْدِيِّ قُلِّي كَثِيبٌ مُسْتَهَامٌ عِنْدَكُمْ مَا يُؤُوبُ
وَلَقَدْ لَامُوا فَقَاتَ دَعْوَانِي إِنْ مِنْ لَحُونٍ فِيهِ حَبِيبُ
فَتَغَيَّرَ وَجْهُ عَقْبَةَ فَتَطَيَّرَ الشَّاعِرُ فَقَطَعَ .

وَدَخَلَ الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ الْعُلُوِيُّ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فَتَحَادَّثَا فَجَاءَ غَلَامٌ لَذَلِكَ
الرَّجُلُ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي أَيُّ الْخَيْلِ نَسْرَجُ الْيَوْمَ فَقَالَ تَسْرَجُ الْعُلُوِيُّ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ :
أَحْسَنَ اللَّفْظِ يَا سَيِّدِي ، فَاسْتَحْبَا وَقَالَ : هَفْوَةٌ .

وَاجْتَنَزَ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ نَقِيبُ الْعُلُوِيِّ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَلَى بَابِ جَامِعِ الْمَنْصُورِ عِنْدَ
الْمَكَائِفِ الَّذِي يُبَاعُ فِيهِ الْغَنَمُ فَسَمِعَ الْمُنَادِي يَقُولُ : تَبِيعَ هَذَا التَّبِيسَ الْعُلُوِيُّ بِدُبْنَارٍ
فَظَنَّ أَنَّهُ قَصْدُهُ بِذَلِكَ فَعَادَ مُتَأَمِّلًا مِنَ الْمُنَادِي فَكَشَفَ عَنِ الْحَالِ فَوَجَدَ أَنَّ التَّبِيسَ إِذَا
كَانَ فِي رِقْبَتِهِ حُلَّتَانِ سَمِيَّ عَلَوِيًّا نَسَبَةً لَشُعْرَتَيْ الْعُلُوِيِّ الْمُسَبِّلَتَيْنِ عَلَى رِقْبَتِهِ . وَنَحْوُ هَذَا
جَرَى لِإِي الْفَرَجِ الْعُلُوِيِّ فَأَنَّهُ كَانَ أَعْرَجَ أَحْوَلَ فَسَمِعَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى تَبِيسٍ كَمْ عَلَيْكُمْ
فِي هَذَا التَّبِيسِ الْعُلُوِيِّ الْأَعْرَجِ الْأَحْوَلِ ؟ فَلَمْ يَشْكُ أَنَّهُ عَنَاءٌ فَرَاغَ عَلَيْهِ ضَرْبًا إِلَى أَنْ
تَبَيَّنَ أَنَّ التَّبِيسَ أَحْوَلَ أَعْرَجَ فَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ بِمَا اتَّفَقَ .

وقال ابو الحسن ابن الصابي : دخل بعض اصدقائنا الى رجل قد اشتهر داراً في جواره فسلم عليه واظهر الانس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا واخينا الا انك بحمد الله اوفى منه كرمًا واوسع نفساً وصدرًا والحمد لله الذي بدلنا من هو خير منه وانشده (بدل بالبازي غراب ابقع)

فضحك منه الرجل حتى استلقى ونجمل وصارت نادرة يولع الرجل بها .
وهنا ننقل من ابن الجوزي بعض نكات المغفلين من القراء والمصحفين : ان رجلاً قدم ابناً له الى القاضي فقال : اصفح الله القاضي ان هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي : ما تقول يا غلام فيما حكاه ابوك عنك قال : يقول غير الصحيح اني اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه : اصفح الله القاضي ان تكون صلاة بلا قراءة فقال القاضي يا غلام تقرأ شيئاً من القرآن قال : نعم واجيد القراءة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
علق القلب رباباً بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق لا اري فيه ارتبابا

فقال ابوه والله ايها القاضي ما تعلم هاتين الآيتين الا البارحة لانه مرق مصحفاً من بعض جيراننا . فقال القاضي فيحكم الله احدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به .
وكان رجل كثير الخصامة لامرأته وله جار بعائنه على ذلك فلما كان سيفه بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضررها فاطلع عليه جاره فقال : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى اما امساك ايش اسمه او تسريح ما ادري ايش ، يريد الآية الكريمة (امساك بمعروف او تسريح باء حسان) .

ومما رواه في اخبار المغفلين من رواة الحديث : كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وقضاء اصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً ان عرجة قطع انفسه يوم الكلام وكان مستمليه رجلاً من اهل كبة فقال : ايها القاضي انما هو الكلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا : ما دهاك فقال : قطع انف عرجة سيفي الجاهلية وابتليت انا به في الاسلام .

ومما رواه من اخبار المغفلين من الامراء والولاة : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد ان يكتب الى ابيه كتاباً يخبره فلم يجد احداً يعرفه فالتحق بالكتاب

الى ابيه وقال : كرهت ان يبطل عليك خبري ولم اجد احداً يجيئ بالكتاب فبحثت انا به ودفعه اليه . قال ابو عثان الجاحظ : كان فرارة صاحب مظالم البصرة وكاتب أطول خلق الله حلية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم ان تكون على المظالم يا فراره

واخذ يوماً من شعره فدعا امرأة فنظر فيها فقال للحنجامة : اما شعر رأسي فقد جودت اخذه ولكنك والله يا ابن الخبيثة سمحت نلى شاري ووضع يده عليه . وسمع فراره يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح فقال قوم : يتكلمون في القرآن فقال : اللهم أرحنا من القرآن . قال المؤلف : وبلغنا ان يزيد بن المهلب ولي اعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة سعدان بنبر وقال : الحمد لله ثم ارفع عليه وقال : أيها الناس اياكم والدنيا فانكم لم تجدوها الا كما قال الله تعالى وما الدنيا بباقية لحي وماحي على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الأمير ، هذا شعر قال : فالدنيا باقية على احد قال : لا قال : فبقي عليها احد قال : لا قال : فما كلفتك اذن . وبلغنا ان بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته : ان الله خلق السموات والارض في ستة اشهر فقبل له في ستة ايام فقال : والله اردت ان اقولها ولكن استقلت بها . قال : حدثنا ابو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن المعان اليه من البصرة انه أصاب لصاً فكره الاقدام على قطعه دون الاستطلاع على امره وانه خياط فكتب إقطع رجله ودع يده فقال : ان الله امر بغير ذلك فكتب اليه أنفذ ما أمرتك به فان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . واتي منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه اربعون ديناراً فقال : لا تريج علي شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه النما وخمسمائة دينار . ودخل على المؤمن فقال : يا امير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على احمد بن ابي حاتم وهو يتعدى برؤوس فقال له احمد هلم يا باسهل فانها رؤوس الرضع فقال هنيئاً أطمعنا الله واياك من رؤوس اهل الجنة . وقال له المؤمن يا منصور قدمدت دجلة فأشرعنا فقال تكري مائة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق فقال له المؤمن حرث فيك . كتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبد العزيز ان الناس قد أسلوا فليس من جزية فكتب اليه عمر ابعده الله الجزية ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جانياً للجزية .

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن الكاتب قال كنت اكتب لابي الفضل بن غلاب وهو بأرتجان ينقلدها فقبل له قد قدم ابو المظفر النعمان بن عبدالله يريد فارس والوجه ان تلقاه في غد وكان ابن الفضل يحتم حتى الريع فقال كيف اعلم وغداً يوم حمائي ولا اتمكن من الرجل ولكن الوجه ان احتم الساعة حتى اقدر عليه غداً يا غلام هات الدوايح حتى احم الساعة فاذا عنده انه اذا اراد ان يقدم نوبة الحمى ويصبح غداً تأخرت عنه الحمى . ودخل شجاع بن القاسم على المستعين مرة وطرف ثيابه مخرق فسأله عن سبب ذلك فقال اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطئت قفاه فخرق دفي فما تمالك المستعين ان ضحك .

وروي ابو الحسن محمد بن هلال الصابي قال خرج قوم من الديلم الى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه الى الوزير ابي عبدالله المهلبى فنقدم باحضار ابي الحسين احمد بن محمد القزويني الكاتب فكان ينظر في شرطة بغداد فقال المهلبى : هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن اخذه فخذوا كتب خطك بتسليمه فقال السمع والطاعة الى ما يأمركم به الوزير ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة فقال با هذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد . فكتب يقول احمد بن محمد القزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي وهم رجل واحد وكتب بخطه في التاريخ فضحك الوزير وقال لنصراني هناك قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص . وحضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم ما العلم الاكبر قال : الطب قال : اني اعرف من الطب اكثره قال : فما دواء المبرسم ايها الوزير قال دواؤه الموت حتى ثقل حرارة صدره ثم يعالج بالدوية الباردة ليعود حياً قال ومن يحييه بعد الموت ؟ قال هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم انظر في شيء منه الا في باب الحياة واني وجدت في كتاب النجوم ان الحياة للانسان خير من الموت فقال الحكيم ايها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة . وانشد عبد الله بن فضالوه عامل قرمسين في مجلسه والجلس غاص باهله هذا البيت :

يوم القيامة يوم لا دواء له الا الطلاء والا لله والطرب

فقال بعض الحاضرين انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني اني لا احسن النحو .

وذكر ابن الجوزي في اخبار المغفلين من القضاة حدث عبد الرحمن بن مسير قال ولاني

القاضي ابو يوسف القضاء بجبّل وبلغني ان الرشيد منحدر الى البصرة فسألت اهل جبّل ان يشؤا عليّ فوعدوني ان يفعلوا ذلك ونفروا فلما آيسوني من انفسهم سرحت لحيني وخرجت فوقفت له فوافى وابو يوسف في الحراقة فقلت يا امير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبّل قد عدل فينسا وفعل وصنع وجعلت أنّي فرآني ابو يوسف فطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون مم تضحك فقال ان المثنى على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فخص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزاني .

حدثنا الحسين بن جعفر الكوكبي قال حدثنا ابو الفضل الربيعي قال حدثنا ابي قال سأل المؤمن من اهل حمص عن قضائهم قال يا امير المؤمنين ان قاضينا لا يفهم واذا فهم وهم قال ويحك وكيف هذا قال قدم اليه رجل رجلاً فادعى عليه اربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال له: اعطه قال اصلح الله القاضي ان لي حماراً اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعليّ درهماً وادفع له درهمين حتى اذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فأنفقها وما اعرف الا ان يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمع له اياها فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله واعطاه فضحك المؤمن وعزله .

حدثنا ابو بكر النقاش قال اتبانا ابو حاتم قال حكى ابو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال دخلت تاهورت فاذا فيها قاضي من اهله وقد اتى رجل جنى جنابة ليس لها في كتاب الله حدمنصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء فقال ان هذا الرجل جنى جنابة وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون فقالوا باجمعهم : الامر لك قال فاني رأيت ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملتُ به قال له وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى (سنمه على الخرطوم) فقطع انف الرجل وخلي سبيله .

وذكر في باب المغفلين من الكتاب والحجاب : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول عبد الملك شامي عنده فقال الحجاج ليت انساناً يعزيني بابيات فقال الشامي اقول قال قل فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله يموت او يصاب او يقع من فوق البيت او يقع البيت عليه او يقع في بئر او يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج قد سليتني عن مصيبتني باعظم منها في امير المؤمنين اذ وجّهه مثلك رسولاً .

كتب رجل من البصرة الى ابيه كتبت اليك يا بني ونحن كما يسرك والله بحوله وقوته لم يحدث علينا بعدك الا كل خير الا ان حائطاً لنا وقع على امي واخي الصغير واخي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري .

وذكر في اخبار المغفلين من المؤذنين . كاتب سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذناً بجامع حمص وكان شيئاً صالحاً يستخر الناس في رمضان فيقول في تسبيحه يا اهل حمص استمضوا فديرانكم عجولاً في اكلكم قبل ان اذن فيسبح الله وجوهكم . ومن اخبار المغفلين من الائمة : مر رجل بامام يصلي بقوم فقراً الم غلبت الترك فلما فرغ قلت يا هذا انما هو غلبت الروم فقال كهم اعداء لا نبالي من ذكر منهم . قال الجاحظ اخبرني ابو العنبر قال كان رجل طويل اللحية احمى جارنا وكان اقام بمسجد المحلة يعمره و يؤذن فيه ويصلي وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها فصلى ليلة بهم العشاء فطول فضجوا منه وقالوا اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فانك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة فقال لا اطول بعد ذلك فتركوه فلما كان من الغد اقام وثق قدم فكبر وقرأ الحمد ثم افكر طويلاً وصاح بهم ايش تقولون في عبي فلم يكلمه احد الا شيخ اطول لحية منه واقل عقلاً فانه قال كبسة مر فيها .

ومن اخبار المغفلين من الاعراب قدم اعراي على بعض اقراره بالبصرة فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً فدفع الثوب الى الخياط فقدر عليه ثم خرق منه قال لم خرقت من ثوبي قال لا يجوز خياطته الا بتخريقه وكان مع الاعراي هراوة من ارز فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتنبعه الاعراي فأنشد بقول :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله	فيما مضى من سالف الاحقاب
من فعل علق جئته ليخيط لي	ثوباً فمزقه كفعل مصاب
فعلوته بهراوة كانت معي	فسعى وأدير هارباً للباب
أبشق ثوبي ثم بقعد آمنأ	كلا ومنزل سورة الأحزاب

خرج قوم من قریش الى ارضهم وخرج معهم رجل من بني غفار فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلوا فأعذق كل رجل منهم مملوكاً فقال ذلك الاعراي اللهم لا يملك لي أعنته ولكن امرأتی طالق لوجهك ثلاثاً .

كان رجل من الاعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئاً فأنشأ يقول :
يا رب قدر لي في هماس وفي طلاي الرزق بالتاس
صفراء تجلو كسل النعاس

فصبرته عقرب صفراء استمرت طول ليله وجعل يقول : يا رب الذنب لي اذ لم
أبين لك ما أريد اللهم لك الحمد ولك الشكر فقليل له : ما تصنع اما سمعت انه يقول :
« ولئن شكرتم لأزيدنكم » فوثب جزءاً وقال لا اشكر الا شكراً (?) قال بعض
الاعراب : لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبايع حلاوتها الى كعبك . قرأ امام في صلاته
إنا أرسلنا نوحاً الى قومه فأرتج اليه وكان خلفه اعرابي وقال : لم يذهب نوح فأرسل
غيره وأرحنا . كان اعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي فقليل له : لو عممت
بدعائك فان الله واسع المغفرة فقال اكره ان اثقل على ربي . كان لبعض المغفلين
حمار فمضى الحمار فنذر ان عوفي حماره صام عشرة ايام فعوفي الحمار فصام فلما تمت
مات الحمار فقال يا ربي كأنك تلهيت بي ولكن رمضان الى هنا يجي والله لا اخذن
من نقاوته عشرة ايام لا اصومها . كان اعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه
بالصلاح فقطع صلاته وقال مع هذا اني صائم . قال بعض الاعراب اللهم آمين
ميتة ابي قالوا وكيف مات ابوك قال اكل بلعاً وشرب عسلاً ونام في الشمس فلقني
الله وهو شعبان ريان دفيان .

وصف بعض مدن الشام

« قبل تسعمائة عام »

« سافر ناصر خسرو الفبادياني المروزي من أدباء فارس من بلاده سنة ٤٣٧ هـ (١٠٣٥ م) ووصف البلاد التي مرَّ بها في سورية وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبلاد الفرس حتى عاد الى وطنه سنة ٤٤٤ هـ (١٠٤٢ م) وقد علق ما رآه بالفارسية في اوراق دعاها كتاب السفر او الرحلة (سفرنامه) ورسم بقلمه بعض الاماكن المقدسة التي رآها كالخرمين الشريفين والحرم القدسي فترجم رحلته بالفرنسية العلامة شيفر (Charles Scheffer) من علماء المشرقيات الفرنسيين ونشرها سنة ١٨٨١ على نفقة مدرسة اللغات الشرقية في باريس مشفوعة برسوم المؤلف الفارسي التي رسمها بقلمه فأثرنا ترجمة الفصل المتعلق ببلاد الشام التي اجتاز بها ليعلم من وصفه الفرق بين حالها امس وحالها اليوم » .

محمد كرد علي

« سروج ومنيح »

وصلنا يوم السبت الثاني من شهر رجب ٤٢٨ (٢ شباط ١٠٤٧) الى مدينة سروج واجتئزنا بعد يومين الفرات فوصلنا الى منيخ اول مدينة من ارض الشام وكنا في اليوم الثاني من شهر بهمان والهواء جيد وليس من بناء حول هذه المدينة .

« حلب وقنسرين وسرمين »

وارتحلنا من منيخ الى حلب وبينهما وبين ميفارقين مئة فرسخ (فرسنگ) وحلب على ما رأيت بلدة طيبة يحيط بها سور متين قدرت علوه بخمسة وعشرين ارشاً وقد بنيت قلعتها العظيمة بأسرها على الصخر ، وعندي ان حلب في عظمها كمدينة بلخ وهي عاصمة جداً ودورها متصلة وينقاضون فيها رسماً على البضائع المحمولة من سورية وبلاد الروم وديار بكر ومصر والعراق . وفي حلب تجار وباعة من هذه الاقطار المختلفة . ولها اربعة ابواب : باب اليهود وباب الله و باب الجنان وباب انطاكية . ورطلها المستعمل هو الرطل الظاهري ويساوي وزنه اربعائة وثمانين درهماً .

واذا اتجه المرء من حلب صوب الجنوب يصل الى مدينة حماة على عشرين فرسخاً

وبعدها حمص ومن حلب الى دمشق خمسون فرسخاً ومن حلب الى انطاكية اثنا عشر فرسخاً ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (?) ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ . وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب (١١ شباط) سافرنا من حلب وبعد ان قطعنا ثلاثة فراسخ بلغنا قرية جند قنسرين ومن الغد قطعنا ستة فراسخ فبلغنا سرمين وهي مدينة لا سور لها .

« معرة النعمان »

وبعد ستة فراسخ (عن سرمين) نقول لك معرة النعمان هاء نذ هـ وهي مدينة آهلة بالسكان كثيراً ويحيط بها سور من حجر وشاهدت بالقرب من باب هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية فسألت احدهم عن ذلك فأجابني ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها . فاذا جيء بعقرب من الخارج وأطلق يفرّ ويتعمد . وقد رت ان هذه السارية كان علوها عشرة آرش . وأسواق المعرة طالحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة ومن اي جهة اتجهت الى هذا الجامع كان عليك ان ترتقي سلماً ذا ثلاث عشرة درجة . ولا يزرع في هذه الجهات الا الخنطة . وتغل غلة حسنة ويكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفسق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر او تمتاح من الآبار .

وحاكم (?) هذه المدينة رجل اعني اسمه ابو العلاء المعري كان من ارباب الثراء وله عدد عظيم من العبيد والخدم والظاهر ان جميع سكان المدينة خدمته اما هو فقد تزهد ولبس ثياباً من الصوف الخشن وانقطع في داره فلا يخرج منه بشئاً وخصص لطعامه اليومي نصف من خبز الشعير لا يأكل سواه . وبلغني ان باب منزله مفتوح على الدوام وان نوابه ورجاله يقضون مصالح الناس ولا يرجعون اليه الا في معات المسائل وهو يجود بالاحسان من ماله على كل من قصده ويصوم الدهر ويسهر الليل ولا يهتم لامور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل العظيم في الشعر والادب درجة من الكمال أجمع اهل الادب في الشام والمغرب والعراق على الاعتراف بها وانه لم يبلغ احد في هذا العصر ما بلغه من المكانة في هذا الشأن .

ألف ابوالملاء كتاباً سماه الفصول والغايات أدخل فيه جملاً معاً وكتابات
نقها بانشاء بلوغ غريب بحيث لا يتأتى الا ان يفهم بعضها والواجب ان يقرأ كتابه عليه حتى
يشرحه . وقد انتقد عليه في هذا الكتاب بانه حاول انتقاد القرآن . ويحيط بهذا
الرجل مائتا طالب جاؤا من البلدان المختلفة وانقطعوا اليه يدرسون تحت نظره الادب
والشعر . ونفي اليه بانه نظم اكثر من مئة الف رباعية (Distique بيتان من
الشعر) قال له بعضهم انت الله تبارك وتعالى قد اغناك ورزقك رزقاً عظيماً فلماذا
توزعه على الناس ولا تمتنع به . فأجابه انا لا املك الا ما اكلت . ولما وصلت المعرة
كان ابوالملاء حياً يرزق .

« كوميات وحماة »

ووصلنا يوم ١٥ رجب ٤٣٨ هـ (١٥ شباط ١٠٥٧ م) الى كوميات ثم الى حماة
وهي مدينة جميلة أهلة كثيراً بالسكان بنيت على شاطئ نهر العاصي وسمي هذا النهر
بالعاصي لانه يجري الى بلاد الروم ويخرج من بلاد الاسلام ويدخل - في بلاد غير
المؤمنين فهو بذلك عاص . وقد أقيمت على ضفافه نواعير كثيرة .

ومن حماة طربقان يذهب الواحد الى الشاطئ الغربي من الشام ويتجه الآخر
جهة الجنوب فيصل دمشق وسرنا نحن في الطريق الاول وقد رأينا في الجبل عيناً
أكد لنا بعضهم انها تجري كل سنة ثلاثة ايام بعد اليوم الخامس عشر من شعبان
ثم لا يفيض ماؤها الى السنة المقبلة ويورها عدد عظيم من الزوار ينقربون الى الله
بعبادتهم وقد أقيمت في ذلك المكان أبنية عظيمة وحفرت آبار .

« طرابلس الشام »

وبعد ان ابتعدنا عن هذا المكان دخلنا في سهل مغشى على طول بالترجس الابيض
وقد اضطررنا كثرتنا الى السفر فبلغنا عرفة وعلى فرسخين منها وصلنا الى البحر فاتجهنا
الى الجنوب وسرنا خمسة فراسخ الى طرابلس . والطريق من حلب الى طرابلس
خمسون فرسخاً . وكان وصولنا الى طرابلس في ٥ شعبان سنة ٤٣٨ . وضواحي
طرابلس مغشاة بالحقول المزروعة والبساتين والحدائق . وكان يري فيها قصب السكر
والبرنقال والليمون والموز والتخيل وكان يوم وصولنا موسم عصير قصب السكر . يحيط

البحر بالمدينة من ثلاثة اطرافها وتصل اليها امواجه حال هياجه حتى تبلغ اعلا الاسوار .
ويحيط بالقسم الذي يمتد الى الياسة سور وخندق عظيم . والى جهة الشرق يفتح باب
من الحديد صلب للغاية . والجدران وما يتبعها من الاسوار كلها من الحجر الخشت وهناك
وضعت المنجنيقات على اعلا الاسوار وكان اهل طرابلس يخشون غارات الروم في سفنهم .
ومساحة المدينة الف آرش . وبهوت المدينة ذات اربع وخمس واحياناً ست طبقات .
والاسواق والطرق جميلة ونظيفة للغاية . اذا رأيتها ظننك أمام قصر مزين أجمل
زينة . ورأيت في طرابلس جميع اصناف القوت والأثمار وجميع المأكول التي رأيتها
في فارس . ولكنها كانت وافرة مئة ضعف .

والمسجد الاعظم قائم في وسط المدينة وهو جميل للغاية مزدان باحسن زينة ومبني
على غاية القوة والمتانة . وفي صحنه قبة عظيمة تعلو حوضاً من المرمر في وسطه فواره
يخرج ماؤها من منقار نحاس اصفر . وفي السوق نبع يخرج ماؤه غزيراً من خمسة
انابيب يسقي منها جميع السكك . وما فاض يجري على الرمل ثم يصب في البحر .
ويقدر عدد المذكور في طرابلس على ما روي لي بعشرين الف نفس . وفي أعمال
طرابلس كثير من القرى يصنع فيها كاغد جيد يشبه ورق سمرقند الا انه احسن
صنعاً . ويتولى امر طرابلس سلطان مصر وقد قيل لي ان ذلك يرد الى العهد الذي
جاء فيه الروم وهزمهم شر هزيمة . وقد ابطل سلطان مصر الضرائب الموضوعة على المدينة
ولا يزال ينفق على الحامية التي فيها . وللحامية قائد وكل اليه امر رد الاعداء عنها .
وطرابلس الشام مستودع تجاري ترد اليه السفن من بلاد اليونان والافرنج والاندلس
والمغرب . ومن حقوق السلطان جباية العشور التي ينفق منها على الجنود . وللسلطان
في طرابلس سفن تذهب الى اليونان وصقلية والمغرب . وسكان طرابلس شيعيون
وقد أنشأ الشيعة في كل البلاد جوامع جميلة . ولم في طرابلس ابنية تشبه الرُّبُط
ولكنها غير مسكونة . ويسمون بها المشاهد . ولا يوجد خارج طرابلس سوى اثنين
او ثلاثة من هذه المشاهد .

« القلمون و ترايرزن و جبيل »

ثم سافرنا من طرابلس جنوباً على شاطئ البحر فوصلنا على مسافة فرسخ الى حصن اسمه القلمون في داخله نبع ماء ووصلنا الى ترايرزن (اعلمها البثرون) وهي على خمسة فراسخ من طرابلس ومنها الى جبيل وقد بنيت على شكل زاوية قاعدتها ساحل البحر . و يحيط بها سور عال متين للغاية وقامت حولها الخيل وغيره من اشجار البلاد الحارة ورأيت ولداً يحمل بده وردة بيضاء وأخرى حمراء قد نفضت وكان الوقت في اليوم الخامس من شهر شباط من سنة ١٤١٥ للتاريخ الفارسي .

« بيروت »

وسرنا من جبيل الى بيروت وقد رأيت فيها قوساً من حجر والطريق يتحنه وقد رت ان علوه خمسون كراً وسمكه بحيث لا يستطيع رجلان ان يجيئا به الا بصعوبة وقد بُني على هذه الدعائم حنايا من الصخر الضخم لا تنقسم اجزاؤها بملاط ولا بجبس وقد قام القوس الاعظم في الوسط ويزيد علوه على الحنايا خمسين ارشاً . وقد رت ان علو كل حجر من الحجارة التي يتألف منها سبعة ارشات في عرض اربعة ووزنه نحو سبعة آلاف من وقد نقشت جميع هذه الاحجار وزينت بنقوش بدبعة فلما يشاهد لها مثيل حتى في الصور على الخشب ولم يبق من بناء في جوار هذا المصنع . وقد سألت عن ذلك فأجبت بان هذا البناء كان باب حديقة فرعون وان تاريخه قديم للغاية . وجميع السهل المجاور له لغشاء عمد وسوار وتيجان منقوشة من الرخام النحيت ومنه المدور والمربع والمسدس والمثلث . والحجر من الصلابة بحيث لا يعمل فيه الحديد ولبس في الجوار من جبل حتى يقال انه استخرج هذا الحجر منه . وهناك حجراً آخر يظهر انه صناعي والحديد لا يفله ايضاً . وفي ولايات الشام اكثر من خمسمائة الف عمود وتاج وقاعدة وما من يعلم فيم كان استخدامها ولا من اين جلبت .

« صيدا »

ورحلنا من بيروت الى صيدا وهي مدينة على ساحل البحر تحيط بها حدائق واسعة مغروسة بقصب السكر ويحدها سور من الصخر فيه ثلاثة ابواب وجامعها الاعظم جميل وله رواء خاص واراضه منقطعة كلها بالحصر المازنة بالصور المختلفة . والسوق جميل

ومزدان ألطف زينة بحيث ظننت لما رأيته انه زين لقدوم ملك او لوصول بناء سار .
وسألت عن علة هذه الزينة ف قيل لي ان هذه عادة المدينة وانها على الدهر متجلمة
على هذه الصورة .

ويظهر ان الحدائق والبساتين قد قام بغرسها ملك رغبة منه وفي وسط كل
واحد منها بيت وكانت معظم الاشجار ملاء بالاثمار .

« صور »

ومن صيدا بلغنا صور بعد ان اجتزنا المسافة بينهما في خمسة فراسخ ومدينة صور
على شاطئ البحر بنيت على صخر يمتد في الماء بحيث ان الجزء المحصن من السور القائم
على اليابسة لا يكون اكثر من مئة كوز (Guez) وسائر السور غائص في الماء
معمول من الحجر النخيت ملئت من القطرات لتحول دوت نفوذ الماء . وأرى ان
مساحة بقعة صور الفارش مربع والبهوت ذوات خمس اوست طبقات يتصل
بعضها ببعض ويرى في اكثرها فوارات والاسواق جميلة وفيها حاجيات الحياة
بكثرة واشتهرت صور من بين جميع مدن الساحل الشامي بغناها ونعمتها . ومعظم
سكانها شيعة والقاضي رجل غني وذو اخلاق رضية واسمه ابن ابي عقيل وكان
سنيًا . وفي خارج المدينة مشهد حوى كثيراً من الطنافس والباري والمصابيح والثريرات
المعمولة من الذهب والفضة . وقد قامت مدينة صور على اكمة ويجري اليها نهر من بنايع
في الجبل أنشئت له قناة من الحجر في البرية ليسيل فيها . وفي اعلاه قناة تفتح السبيل
أمام الماء وأمام صور في الجبال التي ذكرتها يفتح واد اذا سار فيه المرء فمجرها صوب
الشرق يبلغ دمشق وهي بعيدة عن صور سبعة عشر فرسخًا .

« عكا »

غادرنا صور وسمرنا سبعة فراسخ فبلغنا عكا واسمها في الكتابة الرسمية مدينة عكا .
بنيت على اكمة قسم منها وعمر والاخر معبد . وجميع مدن السواحل الشامية مبنية
على اماكن مرتفعة لان القوم يخشون ان تدهمها المياه او تضر بها امواج البحر التي
تنكسر على ضفافه . والمسجد الاعظم وسط المدينة وفي اعلا قمم من المدينة . وقد جعلت
السواري التي يقوم عليها من الرخام وفي خارجه على يمين المنجى الى القبلة قام ضريح النبي

صالح عليه السلام وبعض صحن الجامع مبلط والآخِر قد سثره العشب . ويزعمون ان هذا الجزء قد حرثه آدم عليه الصلاة والسلام . وقد ذرعت سطح المدينة فكان طولها التي آرش وعرضها خمسمائة ويحيط بعكا سور متين للغاية ويحيط بها البحر من الغرب والجنوب والميناء في جنوبها ولعظم مدن ساحل الشام موانٍ ويطلق اسم ميناء على كل خليج بني لتكون فيه السفن بأمن . ويشبه هذا الجون اصطبلًا يستند حائطه الداخلي الى المدينة وحائطاه الآخران يمتدان في البحر وقد فتح في طرفه مدخل عرضه خمسون كوزاً وله سلسلة مربوطة من احد الحائطين بالآخر . ومعنى أريد ادخال سفينة الى الميناء يخفضون السلسلة حتى تنزل الى الماء فتجناز السفينة عليها ثم يرسلونها ثانية حتى لا نلناها مراكب العدو بسوء اذا دهمتها من البحر .

وعلى مقربة من الباب الشرقي الى اليمين نبع ماء ينزل اليه في ست وعشرين درجة واسمه عين البقر ويزعمون ان آدم عليه السلام اكتشفها وانه كان يسقي منها بقرته ولذلك سميت عين البقر .

واذا خرجت من عكا واتجهت نحو الشرق نلتى جبلاً دُفِن فيه انبياء عليهم السلام وهو يرتفع عن طرف الطريق الذي يسرون عليه اذا أراد المرء الذهاب الى الرملة . وقد عرفت ان اذهب اليه لزبارة هذه القبور وأغتم البركات التي خصها البارئ تعالى بها . وقد ذكروا لي في عكا ان في تلك الطريق اشقياء يسيئون معاملة الغرباء ويسلبونهم ما معهم نخبأت ما كان معي من الدراهم في جامع عكا وخرجت من المدينة يوم ٢٣ شعبان سنة ١٤٢٨ هـ (١٨ آذار ١٩٠٦ م) فزرت في اليوم الاول قبر عكا في مدينة عكا وكان رجلاً صالحاً باراً . ولم استصحب معي دليلاً يهديني الى الطريق فخرت في تعين الطريق التي يجب سلوكها فقضت حكمة الله تقدس اسمه ان ألتقى في ذاك اليوم رجلاً فارسياً اصله من اذربيجان كان زار هذه القبور المباركة وجاء مرة ثانية للتبرك بزيارتها وصليت ركعتين لاشكره تعالى على نعمته التي تفضل بها وسجدت اعترافاً بحميله على ان وفقني الى اتمام القصد .

وصلت الى قرية اسمها بروة فزرت فيها قبري اليسع وشعمون عليهما السلام ثم سرت الى قرية دمون فرأيت فيها مغارة صغيرة اكد لي القوم انها مغارة ذي الكفل وبعد ذلك قصدت الى قرية عبلين حيث دفن هود وقد قامت عليه شجرة خرنوب وزرت ايضاً قبر

العزير ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حاضرة وفي غربها واد صغير لنزع منه من الصخر عين صافية وقديني مقابل هذه العين في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر وباب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران مشاهير احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى . ويعني سكان القرية بهذا المسجد وهذه القبور كل العناية ويجعلون فيها مصابيح وفرشاً .

وبعد ذلك اتجهت جهة أربيل (او أربد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف . ولما انقلنا من هذا المكان رأينا كهنة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت . وتوغلت في واد رأيت في أقصاء بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها وطول هذه البحيرة نحو ستة فراسخ وعرضها ثلاثة والمدينة على الشاطئ الغربي منها ويصب في البحيرة ماء الحمامات وما فاض من استعمال السكان . ومن البحيرة يستقي اهل طبرية ماء الشفة وكذلك السكان النازلون في جوار البحيرة . وسمعت ان اميراً كان جاء طبرية قديماً فأمر ان تغلق جميع المجاري التي تحمل القاذورات والمياه الماخلة الى البحيرة فأنزل الماء حتى لم يعد احد يستطيع شربه . وعندئذ اسال جميع الاقنية فعاد الى ماء البحيرة طعمه اللذيذ الذي كان له سالفاً .

ويحيط بطبرية سور متين يمتد من شاطئ البحيرة ولا سور للقسم المتصل بالماء من المدينة . ووسط البحيرة صخور وقد بنيت وسط المياه ابنية عديدة وهي عبارة عن قباب للنزهة تقوم على عمد من المرمر غمست في المياه ويكثر السبك في بحيرة طبرية من وراء الغاية . وقد قام المسجد الاعظم وسط المدينة وعلى مقربة منه عين ماء بني عليها حمام وماؤها حار بحيث لا يستطيع المرء ان يصبها على بدنه الا اذا مزجها بماء بارد ويقال ان هذا الحمام من عمل سليمان بن داود عليهما السلام وقد دخلت هذا الحمام . وفي الجزء الغربي من المدينة مسجد اسمه مسجد الياسمين وهو بناء لطيف وفي وسط صحنه سطح عال بنيت فيه محاريب وحوالي هذا السطح غرسوا ياسمين وسمي المسجد باسمه .

وفي رواق غير مسور من جهة الشرق قبر يوشع بن نون وعلى السطح قبور اثنين وسبعين نبياً قتلهم ابناء اسرائيل . وفي جنوبي طبرية او جنوبي البحيرة تجري بحيرة لوط وماؤها مر جداً واليا يجري النهر الذي يخرج من بحيرة طبرية وكانت مدينة لوط على

شاطيء تلك البحيرة ولم يبق لها اثر . وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل البهضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن والولايات . ويزعمون ان هذه المادة اذا جعلت قطعة منها في جذع شجرة تسلم من الديدان بدون ان لتأثر جذوعها . وبذلك لا تسطو على القراس الديدان ولا الحشرات التي تعيش تحت الارض . واني لادع نبعة هذه الرواية على ناقلها . وقد ذكر لي راوي هذه القصة ان الصيادلة يتناغون هذه المادة ويدخلونها في العقاقير للنجوى من دودة اسمها النقرة .

وفي طبرية تعمل حصر تستعمل للصلاة تساوي الواحدة منها خمسة دنانير مغربية . وعلى غربي المدينة قصر من الحجر النخيت على قمة جبل وفيه كتابة بحروف عبرانية وفيه انه حفر يوم كان برج الثريا في آخر برج الحمل . وقبر ابي هريرة خارج المدينة صوب القبلة ولا تمكن زيارته لان سكان هذه المقاطعة شيعة واذا قصد واحد للصلاة يصحب الاولاد عليه ويناكدون ويهينونه ويرشقونه بالاحجار . فعدلت عن هذه الزيارة وذهبت الى قرية اسمها كفر كنة وفي جنوبها تمتد اكمة قام في اعلاها دير جميل له باب متين جداً وفيه قبر يونس وفي خارج الدير بئر لذيذ المذاق من وراء الغاية وبعد ان صليت في هذا المشهد عدت الى عكا البعيدة عن ذلك المكان اربعة فراسخ وقضيت يوماً في عكا ثم سرنا منها الى قرية حيفا وكانت الطريق التي سلكنها مغشاة بطبقة كثيفة من رمل يستخدمه الصاغة في فارس ويطلقون عليه اسم رمل عكا .

قامت حيفا على شاطئ البحر وفيها النخيل واشجار أخرى كثيرة وشاهدت فيها عملة كثيرين متوفرين على انشاء مراكب وتسمى هذه الابنية الخاصة بالملاحه البحرية بالجودي وعلى فرسخ منها قرية الكُنيسة وهناك يتعد الطريق عن البحر ويتجه نحو الشرق جهة الجبل ويحتاز ارضاً مستوية مصخرة تسمى وادي التماسيح وبعد فرسخين يصير الطريق على الشاطئ حيث رأينا عظام بعض الحيوانات البحرية اختلطت بالطين وضربت الامواج زمناً فأصبحت صورتها كالبحر .

وصلنا الى قيسارية وبينها وبين عكا سبعة فراسخ وقيسارية مدينة جميلة تشقها المياه الجارية وفيها النخيل والليمون والحو والمرو يحيط بها سور متين فيه باب من حديد

وفي هذه المدينة كثير من العيون وجامعها الاعظم من اجل الابنية اذا جلست في صحنه تبصر البحر وما فيه من المناظر وفي الحصن إجانة (دورق) من المرمر يشبه اناء من عمل الصين وهو من الخشامة بحيث يسع مئة من الماء .

غادرنا قيسارية يوم السبت آخر يوم من شعبان (١٠ آذار) ومرنا مدة فرسخ على الرمل الذي هو أشبه برمل مكة ثم شاهدنا في الطريق الذي كان تارة في السهل وأخرى في الجبل عدداً كبيراً من اشجار التين والزيتون . وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدينة اسمها كفر سابا او كفر سلام وهي على ثلاثة فراسخ من الرملة والاشجار على جانبي الطريق محيطة به كما قدمنا .

انتهى بنا أمد السير يوم الاحد اول يوم من شهر رمضان (١١ آذار) الى الرملة وبينها وبين قيسارية ثمانية فراسخ . والرملة مدينة عظمى يحيط بها سور عال متين عمل من الحجر والملاط وهي نلى ثلاثة فراسخ من البحر وشرب أهلها من مياه الامطار يجمعونه في كل موسم في حوض وعندهم منه ما يخناجونه على الدوام وفي وسط الجامع الكبير صهاريج واسعة اذا ملئت يستطيع الانسان ان يستقي منها بحسب حاجته . ومساحة الجامع الاعظم ثلاثمائة قدم في مائتين . وقد نقش في اعلا الصفة بان الارض زلزلت زلزلاً عظيماً يوم ١٥ المحرم ٤٢٥ (١١ كانون الاول ١٠٣٣) فهدمت عدة أبنية ولم يجرح احد من السكان .

والرخام كثير جداً في الرملة وجدران معظم الابنية والدور مغطاة بصفائح من الرخام مرصعة بالنقش ومغطاة بنقوش ورسوم ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له ويرمل تلك البلاد بالمنشار تقطع من الرخام بقدر طول السواري والعمد كما تقطع الدفوف من شجرة الا من حيث العرض . ولقد رأيت في الرملة رخاماً من كل جنس ومنه الحزق (المبقع) والاخضر والاحمر والاسود والابيض وبالجملة من مختلف الالوان .

وفي الرملة يخرج نوع من التين اللذيذ ولا يوجد مثله في بلد آخر ومنها تحمل الى سائر البلدان وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين (كذا) انتهى بنا نفس السير في اليوم الثالث من شهر رمضان (١٤ آذار) بعد ان غادرنا الرملة الى قرية

خاطون (لعلمها اللاطرون او النطرون) ثم الى قرية العنب وقد لاحظنا في الطريق كثيراً من شجر البطم ينبت نباتاً طبيعياً في السهل والجبل . وشاهدنا في قرية العنب عيناً تنبع من صخر وكان ماؤها عذبةً طيباً وقد وضعت هناك أجران لسقاية ابناء السبيل وأقيمت مساكن لزولم عمرها اهل الخير طلب الثواب .

وبعد قرية العنب يبدأ الطريق بالارتفاع تدريجاً حتى خيل لنا بعد ان صعدنا الجبل ونزلنا الى الجهة المقابلة اننا وصلنا الى المدينة ولكن بعد ان صعدنا زمناً بلغنا سهلاً عظيماً مستوياً ومعظمه حجري على حين تبدو الارض في الاماكن الاخرى عريانة مجردة وفي اعلا نقطة من هذا النجد قامت مدينة بيت المقدس . وهي على ستة وخمسين فرسخاً من ظرابلس على ساحل الشام وعلى خمسمائة وستة وسبعين فرسخاً من بلخ وكان وصولنا القدس في اليوم الخامس من رمضان ٤٣٨ (١١٦ آذار ١٠٤٦) وقد مضت سنة شمسية منذ غادرنا مسقط رأسنا وظفنا العالم زمناً دون ان نقف في مكان ودون ان ننال الراحة التامة في موضع . ويطلق سكان سورية وفلسطين على مدينة بيت المقدس اسم القدس وكل من يحجز من سكان هذه الارزاء عن الرحلة الى مكة يذهبون الى القدس في موسم الحج ويقفون فيها خلال الموقف قائمين باعمال الحج محنطين بعيد الاضاحي . ويجتمع في بعض السنين في الايام الاولى من ذي القعدة اكثر من عشرين الف رجل في هذه المدينة وياتون معهم باولادهم ليحشروهم . وينزل القدس النصارى واليهود زرافات زرافات من ولايات مملكة الروم والاقطار الاخرى ليزوروا الكنيسة والمعبد . وسيجد وصف الكنيسة العظمى في محله .

وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فان الماء كولات كثيرة رخيصة . ومن رؤساء البهوت من لا نقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف من ويجعل هذا الزيت في آبار وأحواض وينقل الى اطراف المعمور . ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام . وذكر لي الثقة ان احد الاولياء رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له : يا رسول الله أعني على العيش فأجابه الرسول (انا أضمن رزقك من خبز الشام وزيتها) .

وهاءنذا أصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها اثر داخل المدينة ويحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد . واذ كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر . وبيت المقدس بلدة عظيمة وكانت فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبهوتها عالية وتربتها مزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبدت بحيث ان الامطار تنظفها وتفسحها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم .

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه وفي خرج المرء من المسجد يرى امامه سهلاً عظيماً منبسطة اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحشر الاجساد وينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع افطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى ونحقق فيه ابادته . اللهم يا باري النسم احفظ عبيدك واغفر لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اه .



القائد مالنجو

فقد المجمع العلمي في اليوم الثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦ احد
اعضائه القائد مالنجو (Comd. Malinjoud) وكان من العاملين المخلصين المحبين
للعرب والمسلمين الوافقين على كثير من شؤونهم الاجتماعية . قال سعادة الجنرال
اندريا قائد جيش دمشق على قبره يوم الاحفال بدفته في هذه المدينة : « انه ولد
في مدينة الجزائر سنة ١٨٧٣ م وصرف معظم ايام حياته في المستعمرات الفرنسية في
افريقية ثم في بلاد الشام فخدم في تونس والجزائر وبلاد الجزائر ودخل في سنة ١٩١١
في دائرة الشؤون الاهلية في الغرب الاقصى فقام باعظم الخدع لاضطلاله بمعرفة اللغة
العربية ، وكان من الرجال الذين أثروا بنفوذهم الشخصي وعملهم الثابت القائم على سمو
المدارك — في توطيد دعائم الامن والاخلاص في بلاد مرتاكش مدة الحرب العظمى ،
وجاء الى الشام (سورية) مع أوائل مجي الجيش الافرنسي فتولى وظيفة مندوب اداري
في الاسكندرونة وقام باعبائها على صعوبتها أحسن قيام .

وفي سنة ١٩٢١ عهدت اليه ادارة فرع الترجمة في المدرسة الحربية السورية ، ثم
إدارة المدرسة العالية للغة العربية في دمشق فتخرج به كثير من الضباط على ممارسة اللغة
العربية . وله كثير من الرسائل والمصنفات في الشعوب الاسلامية وفي الشام الذي كان
يحب عذبا في الدرجة الاولى بين المستعربين من الافرنسيين . وكان يجتهد ان ينشر
بين تلاميذه واصدقائه الكثيرين في الشام معرفة فرنسا وحبها .

وقد دأبهم الموت غير راحم له في أشد ما يكون من عمله فطني وهو يعمل ويجد تاركاً
وراءه اسفاً عظيماً في قلوب كل من عرفوه وقدروا أعماله فدرها . واني لآخني معكم أيها
السادة أمام هذا القبر لأحيي افرنسياً صالحاً وصديقاً عظيماً للمسلمين . »

هذا ما قاله قائد الجيش الافرنسي وفيه ترجمة حياة الاستاذ مالنجو السيفية ،
اما حياته القلبية فثابتة باحسان الترجمة من اللغتين العربية الى الافرنسية وتسهيل طريقة
تعلّم الافرنسية على العرب وتعلّم العربية على الفرنسيين فأخذ عنه هاتين اللغتين عشرات
من ابناء الامتين في مدة وجيزة . وكان له غرام باللغة العربية العامة كماله غرام باللغة

الفصحى وقد نشر لتعلم العامية كتاباً سماه «الدليل» في مجلدين لطيفين وله عدة مقالات في الصحف والمجلات تدل على اجتهاد متواصل وكان ممن يقول بان المدينين العربية والافرنسية يمكن اجتماعهما من طريق العلم ، والاجتماع من هذا الطريق اجل اجتماع وأعوده بالفائدة على الامتين ، وكان يتلطف في بث ما يربطه بين تلاميذه من الافكار التي يعتقد صحتها وغناءها دون ان يجرح عاطفة احد وله حرص على تعليم الناشئة الاسلامية اشهر عنه وعُرف به . وما المدرسة العليا للغة العربية في حاضرة الامم موطن الاثر اجتهاده وجلادته . وكانت له صلات مستديمة مع كبار علماء المشرقيات في فرنسا والجزائر ولذلك يعد المجمع العلمي فقده خسارة عليه وعلى الادب العربي .

وقد انتدب المجمع العلمي احداً من اعضائه الاستاذ السيد انيس سلوم لتأنيته في المقبرة ساعة دفنه فذكر من صفاته الحسنة وبلائه في خدمة العلم والآداب ونشر اللغتين الجليلتين — اموراً كثيرة . ومما قاله ان الفقيه العزيز كان متحلياً باجل الصفات ، فكان متواضعاً لطيفاً كثير الجلد والدأب والنشاط وكان يحترم الآخرين ولا سيما العلماء وبذل جهده في توثيق عرى الاتحاد بين الامتين الافرنسية والسورية من طريق العلم ولطالما أزر المجمع العلمي بقله وعلمه وغيره فدل على نفس كريمة تحب الخير وتتناغم بالفضائل . فلا غرو ان عدت وفاته خسارة عظيمة على المجمع العلمي كحسب فقده خسارة على آله وصحبه واصدقائه الكثيرين .

وقد خطب على قبره الاساتذة السادة نزه الزعبي وابو الخير القواص والدكتور جود ومما قاله هذا مخاطباً الفقيه وكان رفيق صباه منذ عشرين سنة : لقد سعيت بجهد وراء التوفيق وتحقيق الاتحاد في هذا الشرق المضطرب حيث يسود عدم الفهم فنصحت للجميع ان لا يتسرعوا في امورهم وان لا يبنوا احكامهم على الظواهر حائلاً ايها على درس المسائل فيما بينهم درساً دقيقاً بكل روية وامعان . أليس اذا درس الافرنسي اللغة العربية والسوري الافرنسية يصبح بإمكانهما ان يتعارفا ومتى حصل التعارف يقتربان ويتصاحبان لان الجبل هو آفة الافات ومصدر البغضاء والحروب .

فالمجمع يشارك أصدقائه وتلاميذه في الاسف عليه رحمه الله .

م. ك

آراء اناطول فرانس (١)

- ١ -

« من أعمال البشر كلها احد عاملين : الجوع والحب . لقد علم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يخوضوا غمار الحروب والغارات . اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد تهيمهم غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب او جدوى . ويدعى جنون الحروب الحديثة مصلحة ملكية . او مبدأ قوميات . او توازناً أوربياً . او شرفاً . ولعل هذا العامل الاخير أبعدھا عن المعقول ، اذ ما من أمة الا احتملت كل المهانات التي قدر لجماعة من الناس ان تنزل بساحتهم وعلى كل ان كانت لا تزال عند الشعوب بقية شرف فاعجب الوسائل الى صيانتھا إشعال نار الحرب : اي ارتكاب كل الجرائم التي تعري الفرد من شرفه : الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض . بما الاعمال التي يوحى بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة بقدر الاعمال التي يوحى بها الجوع حتى يحقق القول ان الانسان وحش شرير .

- ٢ -

لا اعتقد ان البشر أغبيار بالقطرة . وأرى انهم على الضد من ذلك ، لا يخرجون من وحشيتهم الاولى الا ببطء وجهد ، لينظموا نظامي عدل غيرا كيد وخير غير دائم ، ولا يزال بعيدا الزمن الذي يصبحون فيه وادعين يعطف بعضهم على بعض . ولا نقال أمة منهم أمة بل تخبأ الصور التي تمثل الحروب لانها منافية للأخلاق الحسنة ينجل منظرھا الناظرين . وأرى ان ملكوت العنف سيدوم طويلاً . وان الشعوب ان يكف احدها عن تمزيق الآخر لأسباب تافهة . وان أبناء الشعب الواحد سيساب بعضهم بعضاً القوت الضروري بدلاً من ان ينقسموه قسمة عادلة . ولكنني على يقين من ان البشر أقل وحشية وفضاظة اذا كانوا أقل بؤساً وشقاء ، وان ترقى الصناعة سيؤدي في النهاية الى تلطيف الطباع . لقد قال لي عالم نباتي ان شجر البوت اذا نقل من ارض جرداء الى ارض خصبة تبدل بشوكة زهراً .

(١) منتخبات من كتيب وقع في ١٤٣ صفحة صغيرة ترجمة السيد عمر الفاخوري مصدرة بمقدمة للاستاذ السيد أمين الريحاني قدمته بحملة منيرفا هدية الى مشتركيها .



ليس موضوع الفن الحقيقة . ينبغي ان تُطلب الحقيقة في العلوم لان موضوعها الحقيقة ولا ينبغي ان تطلبها في الأدب الذي لا يصح ان يكون موضوعه شيئاً غير الجمال .



ليست الحقائق العلمية محبة الى قلوب العامة . فان الشعوب تحي بالميثولوجيا وتتناول من الاساطير كل مبادي العرفان التي تحتاج اليها . وقليلة ما هي : ان يضع أكاذيب كافية لاسعاد ملايين من الناس وبالجملة ليس للحقيقة سلطان على البشر ولو كان لها سلطان لكان هذا مدعاة أسف لان الحقيقة مضادة لطبيعتهم بقدر ما هي مضادة لمصالحهم .



اكثر ما يتنازع الناس على ألفاظ . ومن اجل ألفاظ يقتلون ويقتلون بطيب خاطر .



يشور المرء اذا غلب . اما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين .



كل ذي حياة غذاء لمن يجي بعده . والعربي الذي يني كوخه برخام هياكل تدمر أعقل من كل حة ظنة المتاحف في لندن وباريس ومولينج .



هل يوجد تاريخ منصف ؟ بل ما التاريخ ؟ هو تمثيل الحوادث الماضية بالكتابة . ولكن ما الحادث ؟ أهو اي حادث كان ؟ كلا بل هو حادث جدير بان يذكر . كيف يحكم المؤرخ على الحادث بانه جدير ام غير جدير بالذكر ؟ يحكم المؤرخ اعتباطاً بفعل ذائقته وطبعه ورأيه اي بصفته فذائناً . ذلك ان الحوادث ليست بطبيعتها على نوعين : الحوادث التاريخية والحوادث غير التاريخية . ثم ان الحادث شيء عويص مركب فهل ينقل المؤرخ الحوادث كما هي في تركيبها ؟ هذا مستحيل فانه يعرضها مجردة من كل الخصائص التي تقوم بها ناقصة مشوهة مختلفة عن حقيقتها اما علاقات الحوادث فيما بينها فالأفضل ان لا نذكر عنها شيئاً : اذا كان الحادث الذي يسمى حادثاً تاريخياً

ناشئاً — وهو الاقرب الى التصديق — عن حادث او عن بضعة حوادث غير تار يخية ، اذاً مجهولة ، فكيف يستطيع المؤرخ ان يعين الصلة بين هذه الحوادث في تسلسلها ؟ واني لأفترض فيما أقوله الآن ان المؤرخ ينظر في شهادات صحيحة ثابتة على حين انه بالحقيقة مخدوع في اكثر الأحوال ، وانه لا يثق بهذا الشاهد او بذلك الادعاء عاطفية . ليس التاريخ يعلم بل هو فن ولا ينجح فيه الا صاحب الخيلة .

— ٩ —

ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يهتمون بالغرور . اقتند بهم ولا تكن مبتكراً : فان المؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشتمزاز عند الناس كافة .

— ١٠ —

لا ندوم الممالك بحكمة بعض الوزراء ورجاحة عقولهم بل بحاجة الملايين من الناس الذين يحترفون لكسب معاشهم ضروب الحرف الدينية كالصناعة والتجارة والزراعة والجندية والملاحة . فان هذه الصغار هي التي تؤلف ما يسمونه : عظمة الشعوب ، وليس فيها للأُمير ووزرائه ادنى نصيب .

— ١١ —

الحقيقة هي ان الحرب من لوازم الطبيعة الانسانية وانه يتعذر تصور شعوب لا يحارب بعضها بعضاً أعني لا يكونون قتلة ثمّ سابين محرق القرى كذلك يتعذر تصور ملك او امير ليس بمغتصب وان قليلاً ، لئلا يزدري ويلام على زهده في المجد أشد اللوم . الحرب اذاً ضرورية للانسان بل هي ألزم لطبعه من السلم الذي لا يكون الا فترة او هدنة . لذلك كنا نرى الملوك والامراء يقذفون جيوشها بعضها ببعض لشر العلل وأنفه الاعذار فيتوسلون الى الحرب بشرفهم ، ويا لله ما أدقه وأمرع انفعاله : يكفي نفخة ضعيفة لاجداث لخطوة لا تغسل الا بدم عشرة او عشرين او ثلاثين او مئة الف رجل ، على نسبة عدد السكان . ومعا أطلنا الروية فان نفهم كيف يغسل شرف الامير بدم هؤلاء المساكين ، ولكننا نعلم ان هذه الانفاظ خلو

من المعنى ، وان الناس يقدمون على الموت ، غير وجلين من أجل ألفاظ . وثمة ما هو أعجب فان الامير يصيب نفراً عظيماً من سرقة ولاية . واذا كان التعدي الذي يأتيه فرد جري جزاؤه الموت فهو امر ممدوح اذا قام به الملك بمعونة جنوده المرتزقة مظهر بن فظاعة لا مثيل لها .

- ١٢ -

ما التاريخ مجموعة أفاصيل اخلاقية او مزيج من الحوادث والخطب البليغة حسماً يكون المؤرخ فيلسوفاً او واعظاً . قد توجد فيه قطع بيانية جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتبس فيه الحقيقة ، لان الحقيقة هي في اظهار ما بين الاشياء من نسب لازمة ، ولا سهيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتباع سلسلة العال والمعلولات . انظر : كلما كانت علة الحادث التاريخي من حادث غير تاريخي فان علم التاريخ لا يراها . ولما كان بين الحوادث التاريخية والحوادث اللاتاريخية صلة مكنية نتج عن هذا ان الحوادث لا تتسلسل في التواريخ تسلسلاً طبيعياً بل ترتبط بروابط بيانية صناعية ليس الا . كذلك لا يعزب عن فكرك ان المؤرخين . يميزون بين الحوادث التي تدخل في التاريخ والحوادث التي لا تدخل فيه الا اعتباطاً . ليس التاريخ اذاً يعلم لانه مقضي عليه بعيب في طبيعته ان يلزمه غموض الكذب وان يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونها . كذلك لا يمكن ان تستخرج من اخبار الامم وسيرها اقل دلالة يرجع بها عن مستقبها . ولما كانت خاصة العلوم النبوء والاخبار عن الحوادث الآتية كما هو مشاهد في الاواح التي تعين فيها بالحساب الالهة ومد الحجر وجزره والكسوفات قبل وقوعها ، فقد أثبتنا ان التاريخ ليس يعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب .

- ١٣ -

على مـ تؤلف تاريخاً ؟ اذ ليس عليك الا ان تنسخ من اشهر كتب التاريخ كما هي العادة . ان كان عندك فكر جديد ورأي خاص ، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوقة ؟ فانك اذاً تباغت القساري ، والقاري لا يجب ان يباغت .

هو لا يهتم في التواريخ الا الحماقات التي يعرفها . فاذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمة جهدك انك حقرته في عين نفسه فأغضبتة . لا تحاول إغارة فكره . والا صرخ قائلاً : انك تسفه عقائده .

— ١٤ —

النفير شرط جوهري في الحياة . والمدن كالناس نبي ما زالت متغيرة متطورة .

— ١٥ —

ان الحرب اليوم هي عار الانسانية وكانت من قبل نكرها . لقد اوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى . فيها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها : علمتهم الصبر والحزم والاستمئانة بالمخاطر ومجد التضحية . ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة لبيتوا منها سوراً يحامون وراءه عن نساءهم وثيرانهم — أنشيء اول مجمع انساني وضمن ترقى الصناعات . وهذا الخير العظيم الذي ننعم به اعني الوطن او المدنية او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة انما هو ابن الحرب .

— ١٦ —

ينعم المرء اذ يعيش بمخيلته في الماضي نعيم الشعراء ولكن فلنعلم ان سحر الماضي ليس الا من أحلامنا وان العصور الغابرة التي ننشق عرفها بلذة كانت لها في جدها ما لكل الاشياء التي تجري في وسطها الحياة الانسانية : من طعم عادي داع الى الحزن .

— ١٧ —

كبار الشعراء هم لكل الناس . اما صغارهم فأحق بالغبطة ايضاً لان شعهم لذة للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة .

— ١٨ —

لا يستطيع احد ان يجزم بان المذهب الذي تبدو فيه النتائج الاولى اضراره وساربه لن يكون فيه الغد نافعا كثير الخيرات . فكل الافكار التي يقوم المجتمع عليها اليوم كانت ضارة مثقلة قبل ان تصبح واقية محسنة . وبامم المصالح الاجتماعية

التي يتوسل بها (المسيو بروتيتار) حوربت في الماضي مبادئ التسامح والانسانية
زمنًا طويلاً .

— ١٩ —

مضى يشتبك البيض بالصفير او بالسود يجسدوا أنفسهم . مكرهين على إبادةهم اذ
لا يُغلب المتوحشون الا بتوحش بالغ الانسان . وهذا هو الحد الذي تنتهي عنده
المشاريع الاستعمارية كلها .

— ٢٠ —

لا مرأى في انه سنقع ايضاً حروب كثيرة فان الغرائز الوحشية والاطماع الفطرية
والكبرياء والجوع التي أفلقت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إفلاقه ايضاً .
وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التآلف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفى
الى توازنها . كذلك فان تداخل الشعوب بعضها في بعض لم ينظم الانظام الكافي لضمان
الرفه العام بحرية المبادلات و يسرها كما ان الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان
ولم تتساو أجزاء البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالنجيرات
والاعضاء في الجسد الواحد . وليس بمقدر حتى لأحداثنا سناً ان يشهد ختام عهد السلاح .
يهد ان تلك الايام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحن بمجيئها . فاذا مددنا الى عالم الغيب
هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا ان نرى مواصلات اوفر واكمل بين الامم
والشعوب ، وشعوراً اعم وافوى بالتضامن الانساني ، ولنظماً افضل للعمل ، وبالنهاية
قيام « الدول المتحدة » في العالم بأسره . وستحقق السلم العام ذات يوم لا لأف
البشر يصبحون خيراً مما كانوا (هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه) بل لأف نظاماً شديداً
للالاشياء ، وعلماً جديداً وضرورات اقتصادية جديدة ستلزمهم بحالة السلام كما كانت
ضرورات الحياة في الماضي تزمهم في حالة الحرب وتقيمهم فيها .

— ٢١ —

يلوح لي ان الانسان انما يشقى لافراطه في اجلال نفسه وفي الثقة بالناس . فلو كان رأيه
في الطبيعة البشرية اصح واقرب للتواضع لاصبح في احكامه على نفسه وعلى الناس ارق واحلم .

— ٢٢ —

سامة الشعراء سامة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال — يعزّون انفسهم بالصور .

— ٢٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .



مطبوعات حديثة

اصلاح الفاييد من لغة الجرائد

(لغة الجرائد) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضياء ينقد فيها كلمات للكتاب والمشتين وأسايب لم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله في ما كتب وأعاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي (كتاب لغة الجرائد) . وانفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفح يري فيه بعض ما يصح مواخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (النجم) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولا يخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً (وهو السيد قسطنطين الحصري) الاديب الحلبي المشهور .

ولا يستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لا يستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لا يستغرب ان ينشبه السيد قسطنطين الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولا هو بموضوع عجب . وانما الغريب ان يهذر من السيد

— ٢٢ —

سامة الشعراء سامة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال — يعزّون انفسهم بالصور .

— ٢٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .



مطبوعات حديثة

اصلاح الفأيد من لغة الجرائد

(لغة الجرائد) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضياء ينقد فيها كلمات للكتاب والمشتين وأساليب لم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله في ما كتب وأعاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي (كتاب لغة الجرائد) . وانفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفح يري فيه بعض ما يصح مواخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (النخلة) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولا يخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً (وهو السيد قسطنطين الحصري) الاديب الحلي المشهور .

ولا يستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لا يستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لا يستغرب ان ينشبه السيد قسطنطين الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولا هو بموضوع عجب . وانما الغريب ان يهذر من السيد

قسطاكي بك — وهو مؤلف كتاب سيف النقد مشهور — كلمات تشعر بالنكار أن يقوم مثل الجندي فيخطئ مثل اليازجي — لا جرم ان رصيفنا السيد قسطاكي لم يصب في انكاره هذا بل ان اليازجي نفسه لو كان حياً لما وسعه الا ان يكون معنا في نخطئة السيد قسطاكي . وهذا هو الممهود من أخلاق اليازجي ولين جانبه وفرط تواضعه رحمه الله . أما رصيفنا الآخر السيد الجدي فانه لم يطبق صبراً على دعوى رصيفه السيد قسطاكي . ولم يتسع صدره لما بدر منه من الانكار عليه فكتب مقالات متسلسلة في مناقشة السيد قسطاكي فيما انتصر به للرحوم اليازجي . وقد نشر مقالاته في إحدى جرائد دمشق . ثم عاد فجتمعها في شكل كتاب بالغ نحو (١٥٠) صفحة . وسماه (اصلاح الفاسد من لغة الجرائد) . وقد ادرك القاري مبلغ الفائدة التي أنعمها هذا الكتاب في علم اللغة والأدب . كيف وإبطال البحث فيه هم من خيرة علماء عصرنا الذين أخصوا في آداب لغتنا العربية لولا بعض كلمات ارهناك . تحللت تلك المناقشات . كنا نود لو نازعت عنها . وموضوعات البحث بلغت ثلاثين موضوعاً ونيفاً . من ذلك كلمة (ضواء) أمؤنة هي ام مذكرة ؟ وكلمة غير هل يصح دخول (أل) عليها او لا ؟ (مشهور) هل يصح جمعه على مشاهير ؟ (خصم) هل يجمع على اخصام ؟ وهل يقال امرهام او هم ؟ ونعرف الى فلان او بفلان ؟ وهل ورد في فصيح اللغة أغاظه وأشغله وأرعبه من الرباعي او لم يرد ؟ في نظير ذلك من المباحث التي يحرص على مثابها عشاق اللغة . والمؤلفون بأدبها . فنشكر للرصيف الجندي هديته . وتقدير له عنايته بخدمة لغتنا الشريفة . كما لا نبخس رصيفنا الآخر السيد قسطاكي حقه من الثناء والقرىظ فان الرصيفين المناظرين فرسا رهان . وفي خدمة اللغة العربية أخوان . رضيها لبيان .

المغربى

قصر آل العظيم في دمشق

هي رسالة في ٢٤ صفحة نشرها رصيفنا الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المشرق أولاً ثم أخرجها كراسة برأسها . وقد صدرها بمقدمة في آل العظيم ورجع عربوية هذه الأسرة استناداً على ما قاله الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في

تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠ هـ وقد ذكر وفاة احدثهم فقال : « ان هذا اللقب من الدولة وانما اصلهم عربان من بادية الشام » . وقد اقتبس صديقنا ما قاله ابن بدير الحلاق في يومياته عن قصر اسعد باشا العظم في دمشق وكيف عمّر ، وما قاله احد احفاد الباساني خليل بك العظم في وصفه من رسالة الى غير ذلك من الفوائد التي اعتاد الاستاذ الباحث ان يحف بها عالم الادب والتاريخ . م . ك

فتح مصر الحديث

— او —

« نابوليون بوبارت في مصر »

(تأليف احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق طبع في مطبعة)
(مصر سنة ١٩٢٥ م ٤٣٨)

وؤلف هذا الكتاب من رجال النهضة المصرية الحديثة معروف بآثاره النافعة عند قراء العربية بما نشره من بنات افكاره وعرضه عن اللغات الافرنجية خلال حياته الصحافية المملوءة بالفوائد الممتعة . وكتابه هذا في موضوع طريق كتيبه على أسلوب النقد التاريخي بأسباب ملذ خالف فيه سنة اكثر مؤرخي العرب وتابع فيه طريقة المؤرخين من الافرنج معتمداً فيه على مصادر افرنجية مهمة ومصادر عربية للمؤرخين العرب المعاصرين لتلك الحوادث وهما عبدالرحمن الجبرتي وتقولا الترك ونقد بعض ما رواه ورواه المؤرخون من الافرنج في حملة نابوليون على مصر وما وقع من الحوادث المؤلمة في فتحه وما ادخله من الانظمة والقوانين والاصلاحات العمرانية الجديدة وما جد من الاحوال في حملة نابوليون على الشام والسبب في إخفاقه فيها على عكا وماعملته الدولة العثمانية وانكسارها وغيرهما من الاعمال لوضع حد لهذه الحملة الافرنجية . ومن اجل فصول الكتاب فصل اسمه « سياسة الانشاء لبقاء » ذكر فيه ماعمله نابوليون لانشاء المجمع العلمي المصري الذي لا يزال الى اليوم سائراً في الخطة التي اختطها له هذا الفاتح العظيم من خدمة العلم والآثار والتاريخ قال المؤرخ في خاتمه « . . . ان العمل العلمي الذي قام به رجال البعثة العلمية من بحث وفحص وتأليف وتصوير . قد

غطى على تلك العيوب وابقى الى اليوم اثراً عالياً فاخراً باهراً ، ان لم يكن قد افادنا من وجهة مباشرة فائدةً مادية علمية وحتى وان لم تسفد منه فرنسا ماملته الا ان ذلك لا يمنع من الاعتراف بانه عمل تطاطبي امامه الرؤوس اِجلالاً واكباراً . . « فنشئ على همة صديقنا في معالجة كل موضوع ينفع مصر ، ونعجب بشريزه في فهم روحها ونفسيتهما فهماً بغبط عليه ، ونرجو ان تدوم له هذه الهمة الشماء في خدمتها فان خدمتها خدمة للجميع بلاد العرب على الاطلاق .

م. ك

نظرة تاريخية

« في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها »

هذه الرسالة لمؤلفها العلامة المحقق الاستاذ احمد تيور باشا كان كتبها مقالات منفردة في مجلة (الزهراء) ثم جمعت على حدة بشكل رسالة لطيفة الحجم بلغت صفحاتها (٤٥) صفحة وطبعت في المطبعة السلفية . وهذا البحث يهم كل مؤرخ و كاتب اجتماعي يبذل الوقوف على اصول التشريع الاسلامي وتطوره وكثرة أئمنه والمقارنة بينهم ثم كيف كان الظهور والغلبة لارباب هذه المذاهب الاربعة وحدها وهم الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ونقصي الاسباب التي جعلت هذه المذاهب لتنتشر وتجبنا بينا المذاهب الاخرى تموت وتختفي . ومن فوائد هذه الرسالة ان مؤلفها ذكر إحصاءاً اقر بهيباً لاتباع هذه الاربعة المذاهب في مختلف أقطار العالم الاسلامي معتمداً في ذلك على أصح المصادر الاfrنجية . كما كانت اعتماده في الكلام على المذاهب — على أهم الكتب المطبوعة والمخطوطة في هذا الشأن . وعلى الجملة فان البحث متمم مفيد قل من يجيد فيه إجادة مؤلفه فالشكر له على مساعيه الجمّة . في خدمة العلم والامة .

*



هدية

أهدى الاديب السيد حسام الدين الكز بري الى المجمع العلمي تسع رسائل خطية منها : (١) شرح غرامي صحيح الاشبهلي تأليف يحيى بن عبد الرحمن الاصفهاني المعروف بالقرافي من علماء القرن العاشر . (٢) إجازة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الكز بري - في الطريقة الشاذلية من السيد محمد نقي الدين كتبت سنة ١٢٠٧ . (٣) رسالة في الفروع مأخوذة من صحيح البخاري للشيخ عبدالغني الغنيمي الميذاني بخط محمد بن عبدالقادر الجذوب سنة ١٢٩٨ . (٤) براءة من السلطان محمود الى الشيخ محمد مسلم الصادي الادهمي بتوليته القضاء بدمشق سنة ١١٦٧ . (٥) براءة من السلطان سليمان الى الشيخ محمد الكز بري بتدريس ثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان في جامع بني أمية بدمشق سنة ١١١١ احدى عشرة ومائة والف . (٦) صورة وقفية آمنة خانم بنت المرحوم الحاج سليمان باشا على مدرس مدرسة والدها مع بيان اقلام الوقف كتبت سنة ١١٨٢ . (٧) كتاب من مصطفى عبدالله اغا سردار الى الشيخ سعيد الكز بري كتبت سنة ١٢٣٣ يعلم منه حالة الانشاء والخط في ذلك العصر . (٨) براءة ايضاً من السلطان محمود الاول الى صفية خانم بنت نصوح باشا كتبت سنة ١١٤٤ . (٩) إجازة من الشيخ احمد البقري من علماء الازهر بالقراآت السبع من طريق الشاطبية الى الزين علي بن احمد الدمشقي الشهير بابن كزبر كتبت سنة ١٢١١ تضمنت سلسلة شيوخ القراء وبعض مسائل لتعلق بفن القراآت . فالمجمع العلمي يشكر للمهدي هذه الاريحية على هديته . *



التذمر من الدهر

(الوزير المغربي) هو وأسرته من رجال الدولة الفاطمية ثم لما قتل الحاكم أباه وأخوته خرج من مصر وجعل يكيد للحاكم ثم تولى الوزارة لآل بويه حتى توفي سنة ٤١٨ هـ . ولما خرج من مصر وضرب في البلاد كان معه غلام يخدمه اسمه داهر فقال متذمراً من غربته وفراق أحبته ومعاشرة هذا الغلام . الكثير انكلام .

(كفى حزناً أني مقيم ببلدة يعالني بعد الأوبة داهر)

(يحدثني مما يجمع عقله أحاديث : منها مستقيم وجائر)

وقد حدثنا هذه في هذا التذمر والشكوى (أبو الجحد المغربي) وهو ابن أخي أبي العلاء حكيم المعرة . وقد كان أبو الجحد قاضياً فيها إلى أن دخل الصليبيون سنة (٤٩٢) هـ فزح عنها وأقام بشير ضيفاً على أمرائها آل منقذ ثم لجأ إلى حماه إلى أن مات سنة (٥٢٣) عن ثلاث وثمانين سنة قال الأمير (أسامة بن منقذ) : لما فارق أبو الجحد أهله بالمعرة بقي منفرداً في غربته لا مؤنس له سوى غلام اسمه (شعيا) فقال نادياً سوء حظي وما يلقاه من معاشرة (شعيا) غلامه .

(زمان غاض أهل الفضل فيه فسقياً للحسام به ورعياً)

(أسارى بين أتراك وروم وفقد أوبة ورفاق شعيا)

أما أسامة بن منقذ صاحب قلعة شيزر الذي روى لنا خبر (أبي الجحد المغربي) فإنه نزل به أيضاً من الغربية ومفارقة أهل الوطن ما نزل برفيقه فإنه لما جلا عن بلده شيزر نزل دمشق ثم فارقها إلى مصر حتى ملك السلطان صلاح الدين فاستدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين . قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى أبداً لقياه . وأشيم على البعد حياه . حتى لقيته في صفر سنة ٥٧١ هـ ثم مات سنة ٥٨٤ هـ ودفن شرقي جبل قاسيون قال ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه . حكى أسامة عن نفسه قال : « ولما بليت أنا بفرقة الأهل كتبت إلى أخي استطرد بغلاصي إلى الجحد الوزير المغربي المدين ذكرهما في شعر بعض أئمتنا :

(أصبحت بعدك باشقى النفس في بحر من الهم المبرح زاخر)

(منفرداً بالهم من لي ساعة يرفاق (شعيا) أو علالة (داهر)

التنبيه

على غلط الجاهل والنبیه

— ٢ —

❖ فصل الحمزة ❖

فاعلم ان من جملة ما يلحنون فيه (فيما فاؤه همزة) لفظ (الإباء) يزيدون فيه ياء فيقولون (إباء) وكانهم يظنونونه من الأفعال . وقد نظمت في هذا ما يدلهم على الصواب . ويعين بابه من بين الأبواب . فقلت :

(أخو الجهل الموقر لا يبالي أن ينطق بالخاطيء بالصواب)

(وأما من له عقل سليم أتى بأبي إباء فهو آبي)

ومنها لفظ (الإباق) يزيد فيه أكثر الناس تاء فيقولون (الإباقة) زعماء منهم ان اللفظ من باب الإفعال . وقد غيره الإعلال كالأفاقة مثلاً . لكنه من الثلاثي والهمزة أصلية . قال في الصحاح أبقى العبد بأبقى (بكسر الباء وضمها) أي هرب . ومنها لفظ (أبيابوب) هو كنية خالد بن زيد الانصاري الخزرجي المشهور رضي الله تعالى عنه والعوام يقولون (أبوب) زعماء منهم انه اسم له .

ومنها قولهم بالآخر على وزن فاعل وقول بعضهم (بالآخر) بفتح الخاء في موضع (بالآخر) على وزن سحرمة . ففيها لحنان : تحريف لفظ (آخر) وادخال اللام عليه . والصحيح حذف اللام لانها في موضع الحال نقول جاء في فلان آخره وبآخره وعرفته بأخرة أي أخيراً وحق الحال ان تكون نكرة (١) .

ومنها لفظ (امغيلان) يلحنون فيه ويقولون (مغيلان) فان زعموا انه صحيح بكثرة

(١) قصر المؤلف كلامه على تصحيح (آخر) كحكمة وكانت عليه ان يتم تصحيح (الآخر) على وزن فاعل فصوابه (آخر) من دون أل يقال جاء آخرًا أي أخيراً . والظاهر ان إعراب هذه الكلمات على الظرفية لا الحال كما قال المؤلف وان كانت في قوة الحال في المعنى أي متأخرًا .

الاستعمال وصار كأنه من الالفاظ الأعجمية - قلنا قد عرفت ان كثرة استعمال الغلط لا يخرج من الغلطية . وان ادعوا ان سبب استعماله خفته على اللسان قلنا فلم يقولون في المقياس أم القياس مع انه ^(١) أخف وأصح . وبالجملة لا يُعذر اهل العلم في هذا . و (أم غيلان) شجرة السم التي تكثر في وادي الحجاز .

ومنها لفظ (الإناث) هو ككتاب جمع الانثى ذكره في القاموس . والبعض يضم ^(٢) همزته وهو وهم مريح .

ومنها (الأناثية ^(٣)) هي اختراع محض لا أصل لها .

ومنها لفظ (الأوان) هو كزمان لفظاً ومعنى وبعض الناس يدهمزه . فقلت في هذا :

(أنكر لحن أبناء الزمان) ووهم الناس في لفظ الأوان)

(ولو حاولت للأوهام عدلاً) إذ أضافت عن البعض الأواني)

ومنها لفظ (الإيوان) هو والأوان بكسر اولهما الصفة العظيمة كذا في الصحاح

والقاموس . والناس يفتحون همزته وهو لحن إذ هو لفظ ^(٤) عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح ^(٥) في الديوان حكاه في القاموس . وتكسر الإيوان أو اوين كديوان ودواوين لان أصله إيوان أبدلت من احدى الواوين ياء كما ذكر في الصحاح . ويمكن الاعتذار بان أهل بلادنا تلفقوا ^(٦) هذه الكلمة من أبناء العجم وهو مفتوح الهمزة في لغاتهم ^(٧) .

❦ فصل الباء ❦

ومنها (في فصل الباء) (البرية) بتشديد الراء الصغراء والجمع براري وتخفيف الناس راءها غلط إذ هي بالتخفيف فعيلة من برأ الله الخالق أي خالقهم والجمع البرايا ^(١) والهمزة ملية .

(١) أي مع ان لفظ المقياس . (٢) اما المضموم الهمزة فهو أناس بالسين بمعنى الناس (٣) تصحیح الاناثية ساقط من بعض النسخ (٤) صوابه غير عربي وفي الناج نقلاً عن المحكم وهو أعجمي (٥) أي فتح الدال (٦) وفي نسخة تلفقوا . (٧) وفي نسخة في لسانهم . (٨) وفي نسخة (والجمع البرايا والبريات) .

ومنها (البُزاق) مع اخويه البُساق والبُصاق بالتخفيف . والتشديد خطأ والمعنى معروف .

ومنها (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال ^(١) . والاسم من البُشرى البشارة بكسر الباء وضمها لا غير . والناس يفتحون الباء في الاسم من البُشرى وهما منهم ولحقا ^(٢) .

ومنها (البقم) ^(٣) وهو بالتشديد نص عليه في القاموس . فالتخفيف خطأ . ولا ينقص عجيبي من هؤلاء القوم : يشددون الخقف ويخففون المشدد كما أنهم جعلوا معكوسين . ومنها (الباكرة) وهي من مخترعات العوام وليست من كلام العرب والصحيح اليكز .

ومنها (الباتور) هو على وزن الذنور والسنور وبالتخفيف كسيرة طر ^(٤) جوهر . معروف كذا في القاموس . فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور خطأ .

ومنها اللفظ (الابن) يقطعون ^(٥) ما قبل الابن الواقع بين العامين عنه ويكسرون باءه مبتدئين بها ويسكنون آخره فيقولون أحمد بن محمد مثلاً . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتخاشى عنه الخاصة أيضاً لاعتقاد الألسن له . والوجه الوصل اذ لولاه لما سقطت الحمزة . وانما ذكرت (الابن) في هذا الفصل ^(٦) لان اصله ينو أو بني .

ومنها (المبني) الصحيح فيه ان يقال الامر مبني على كذا مبنياً للمفعول بمعنى المبني لان ارباب اللغة مطبقون على ان بنى الدار وابنتاها معنى واحد . والناس يخطئون فيه ويقولون الامر مبني على كذا . زعماً منهم انه لازم .

ومنها (بنيامين) كما سرائيل ^(٧) اخو يوسف عليه السلام ولا نقل ابن يامين كذا في القاموس . وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي . واما (ابن يامن) الذي ذكره طرفة بن العبد البكري في معاقته حيث

(١) والحسن وفلان أبشر من فلان اذا كانت أحسن منه وأجمل وأتم .
(٢) وفي نسخة وخطأ . (٣) البقم خشب شجر أحمر يصبغ بطبيعته . (٤) السيرة طر على وزن ضرب الرجل لماضي الشهم . (٥) اي يسكنون آخر اللفظ الذي قبل ابن ثم يتبدلون بالباء مكسورة مع ان الواجب تحريكه ووصله بباء ابن مع حذف همزته التي هي حمزة وصل . (٦) اي فصل السمات التي أولها باء . (٧) وفي نسخة كما سرائيل .

يقول : (عَدْوَلِيَّةُ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ ^(١)) فهو رجل من اهل حجر ^(٢) او تاجر بالبحرين وليس من اخوته عليه السلام ومعنى ابن يامن ابن رجل مسمى يامن . ويامن ^(٣) من الاسماء المشهورة فكيف يصح ان يقال لابن يعقوب عليه السلام ابن يامين ^(٤) .

❖ فصل الناء ❖

ومنها (في فصل التاء) (التوأمان) هذا اللفظ ثنية توأم على وزن فועل يقال اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين في بطن واحد فهي متمم . وذكر في القاموس ان التوأم من جميع الحيوانات المولود مع غيره في بطن ذكر أو أنثى . ويقال توأم للذكر وتوأمة للانثى فاذا جمعا ^(٥) فهما توأمان . وعاطط الناس فيه انهم يستعملونه ^(٦) بمعنى التوأم . يقولون فلان توأمان فلان بالاضافة ظناً منهم انها كلمة واحدة ^(٧) كالزعفران والصحيح هو توأم فلان . وهما توأمان . وانما ذكرته في اول الفصل ^(٨) مع ان ثانيه واو لأن الواو زائدة والثاني هو الهمزة في الحقة وهكذا ذكره اصحاب اللغة . ومنها (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن (فعلة) من ترجم يترجم ترجمه وترجم عنه اي فسر . وماشاع ^(٩) بين الناس من ضم الجيم خطأ . وقد سمعت هذه اللفظة من بعض الأماثل فشددت التكثير عليه ففكر طويلاً ثم أدى رأيه الا انها بوزن النفعلة كالتبصرة فاستحييت ^(١٠) ووددت اني لم اسأله عنها . ومنها (الترجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة .

(١) لثمة (يجور بها الملاح طوراً ويهتدي) . (٢) بالفتح مدينة البجامة وأم قراعا بلعل صوابه حجر بالهاء لانها هي قاعدة البحرين . وفي نسخة من اهل التجار . (٣) وفي نسخة ويامن وياسر . (٤) وفي نسخة ابن يامن . (٥) وفي نسخة (واذا اجتمعا فهما توأمان) . (٦) اي يستعملون (التوأمان) . (٧) اي مفردة لا شاة . (٨) اي فصل التاء . على ان توأم اصلها (دوأم) من الوثام فهو مما أوله واو فكان الانسب ان يذكره في فصلاها . (٩) كأنه سرى لم ذلك من ضم جيم ترجمان الشائعة على الالسنه . (١٠) اذا الفرق بين الترجمة والتبصرة ان الترجمة مصدر الرباعي المجرد كالدرجة . اما التبصرة فمصدر الثلاثي المزيد عيتان جنس عين فعله وهو باب فرتح اذ له مصدران التفعيل والتفعلة .

قال في القاموس الترجمان كَعْنَفُوان وزَعْفَران وزبرقان^(١) هو المنفسر للسان .
ومنها (المتروك) يستعملونه استعمالاً شائعاً مكان التارك فيقولون مثلاً (فلان متروك) اذا ترك العلم او غيره . ولا يجوز ان يكون هذا مفعولاً بمعنى الفاعل كقوله تعالى (انه كان وعده مأثياً) وكقوله تعالى (حجاباً مستوراً) — لانه لا يجري فيه القياس بل هو مقصور على السماع . على أن صاحب الكشف قال في قوله تعالى (مأثياً) مفعول بمعنى الفاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأثونها . وحكى في قوله تعالى (حجاباً مستوراً) أقوالاً : منها انه حجاب لا يرى فهو مستور . ومنها انه يجوز ان يراد به حجاباً من دونه حجاب . فهو مستور غيره .

ويمكن ان يُستخرج للمتروك^(٢) وجه وان كان بعيداً وهوانهم نسبوا الترك الى العلم تأديباً ثم شاع هذا الاستعمال حتى قيل لمن ترك شيئاً من الصنعة^(٣) متروك ايضاً .
واما (المشغول) فهو صحيح بلا نزاع لأن من يعكف على الشيء يشتغل به عن غيره فيصح ان يقال فلان مشغول بكذا اي مصروف به عن غيره . قال في الصحاح يقال شُغِلت عنك بكذا : على ما لم يُسَمَّ فاعله .

❖ فصل الثاء ❖

ومنها (في فصل الثاء) (الثَّقِلُ) كعَنْب ضد الخفة ويستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف . وهو خطأ لانه^(٤) اسم للثقل قال في الصحاح الثَّقِلُ واحد الاثقال كحَمَل واحمال .

ومنها (الثِّيب) يزيدون في هذه اللفظة هاء^(٥) ويقولون ثِيْبَة وهو خطأ لانها

(١) قوله زبرقان بكسر الزاي والراء . لكن الذي رأيناه في نسخة مخطوطة لدينا من القاموس وفي التاج مكان زبرقان (زهقان) بفتح الزاء وضم الهاء بمعنى الزعفران فعلى هذا يقال ترجمان بفتح التاء وضم الجيم ولا غلط في كلام العامة . (٢) اي في قولهم : فلان متروك اذا ترك العلم . (٣) وفي نسخة : حتى قيل لمن ترك صنعة وفي أخرى لمن ترك ضيعته . (٤) اي لأن (ثقل) بالسكون . (٥) وفي نسخة تاء

وردت مجردة عن التاء بلا خلاف بينهم^(١) قال في القاموس : الثيب المرأة فارقت زوجها أو دخل بها . والرجل دخل به . أو لا يقال للرجل الا في قولك (ولد الثيبين) يعني انه لا يطلق على الرجل الا تغلباً . وفي تحرير^(٢) هذه الكلمة اختلافات لنضمن فوائد لا بأس بذكرها :

فاعلم انه قال العلامة في المفصل : للبصر بين في نحو حائض وحامل^(٣) وطالق مذهبان : فعند الخليل انه على معنى النسب : كلابن وتامر : كأنه قال : ذات حيض وذات حمل وذات طلاق . وعند سيبويه انه متأول بانسان او بشيء حائض . كتولم غلام ربعة وربة^(٤) على تأويل النفس . وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة . واما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فنقول : حائضة وطالقة الآن او غداً .

أقول قد أضح في الكشف الفرق بين الصفة الثابتة والحادثة في تفسير قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) — بان (المرضع) هي التي من شأنها الإرضاع وان لم تكن ثابتة^(٥) الإرضاع في حال وصداقه . و (المرضة) هي التي في حالة الإرضاع ملقمة^(٦) نديها الصبي . وذكر انه هو سبب اختيار (المرضة) على (المرضع) لان المراد تعظيم^(٧) شأن الزلزلة وهي أدخل فيها^(٨) .

ثم قال في المفصل : فمذهب الكوفيين ببطله جري (الضامر) على النسافة والجمل و (العاشق) على المرأة والرجل . على أن مذهب الكوفيين هو أن حذف التاء من نحو حائض للاستغناء عنها . وهذا يوجب اثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وآيم وثيب وعانس وغيرها^(٩) على الذكور والاناث . وهذا^(١٠) الاعتراض متين لكن

(١) وفي نسخة على خلاف بينهم . (٢) وفي نسخة تجر بد هذه الكلمة . (٣) وفي نسخة و (طامث) بدل وحامل . (٤) ربة اي وسيط القامة وغلام يفعه شب ولم يبلغ . (٥) وفي نسخة وان لم تكن تبشر الإرضاع . (٦) وفي نسخة تلقم . (٧) وفي نسخة لفظيع . (٨) كذا في النسخ ولعل صوابه فيه اي في تعظيم شأن الزلزلة والمعنى ان المقام الندي والإرضاع بالفعل أدخل في تعظيم شأن الزلزلة وأشد تصويراً لاحضار هولها في أذهان مخاطبين . (٩) متعلق بمحذوف اي مما يصح اطلاقه على الذكور الخ . (١٠) وفي نسخة لان الاعتراض الخ .